شعوب أوربا

القديمة والحديثة

منشأها وتاريخها وأحوالها

أصدرتهُ

ادارة مجلة الهلال

obeikandl.com

شعوب أوربا

القديمة والحديثة

منشأها وتاريخها وأحوالها

أصدرتهُ

ادارة مجلة الهلال

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

لم يكن لمسائل القومية أو الجنسية في عصر من العصور ما لها من الشأن في هذا الزمن . فان حلها هو الشغل الشاغل لساسة أوربا اليوم كما لا يخفى

وقد اكثرت الصحف في المدة الاخيرة من ذكر اسماء شعوب لا نعرف عنها الا القليل كالتشيك والسلوفاك واليوغوسلاف والاكرانيين والفنلنديين والليثوانيين الخ . . الخ . . فحدا بنا ذلك الى نشر هذه الرسالة في « شعوب اوربا » لنبين احوالها وعلاقاتها بعضها ببعض مما لا غنى عنهُ لكل متتبع للحوادث التاريخية الحاضرة

تمهيد

أوربا واسمها

أوربا أصغر القارات ما عدا القارة الاوقيانية . ومساحتها لا تزيد على مساحة كندا أو البرازيل بل ان الناظر اليها على الخريطة يرتاب في كونها قارة مستقلة ويميل الى الاعتقاد بانها قسم متطرف من قارة آسيا . فمن الصعب تعيين الحدود الفاصلة بين القارتين اذ ليس بينهما فواصل طبيعية بل لم يكن بين سيبيريا وروسيا حدود متفق عليها رسميًّا. وسيبيريا تزيد على اوربا في المساحة نحو مليون ميل مربع

أما اسم اوربا فقديم وقد استعمل منذ اكثر من ٢٥ قرناً. ولم يتفق علماء اللغات بعد على أصل هذا الاسم ومعناه . فربما كان مشتقاً من اسم العذراء اوربا التي أحبها چوبيتر إله اليونانيين الاعظم . وقد يكون بمقتضى تخريج آخر مشتقاً من كلمة « أرب » التي وجدت على آثار اشورية ومعناها على ما يظن الظلمة أو الشمس الغاربة وضدها كلمة « اسو » التي وجدت على تلك الآثار نفسها ومعناها الشمس المشرقة أي آسيا . ولعل الاجدر بنا ان نعترف مع هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير أنه « ما من بشري يستطيع ان يؤمل يوماً تفسير تلك الكلمة الموروثة عن الاسلاف »

سر تقدم الشعوب الاوربية

مساحة اوربا كلها لا تعادل جزءًا من اربعة عشر من مساحة اليابسة أو جزءًا من خمسين من مساحة الكرة الارضية كلها . ومع ذلك يبلغ عدد ساكنيها اكثر من ربع البشر (نحو ٤٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نفس) . ولا يبرح من الذهن ان الاوربيين لم ينحصروا في قارتهم الاصلية فقد قطنوا القارة الاميركية والقارة الاوقيانية بعد استكشافهما فضلاً عن استعمارهم لمعظم افريقيا ولجانب كبير من آسيا . وما برح الاوربيون منذ القدم مركز اشعاع العلوم والفنون على جميع بني البشر

فما سر هذا التفوق العجيب ؟ وما هي العوامل الخفية التي عملت على بروز الاوربيين في التحضر والترقي ؟

يتعذر القول بان آسلاف الاوربيين الحاضرين كانوا اصحاب مواهب خاصة ميزتهم وميزت نسلهم عن بقية البشر أو انه كان لهم استعداد للرقي فاقوا فيه سواهم من الشعوب . فلا بد لنا اذاً من نسبة تفوق الاوربيين الى البيئة التي وجدوا فيها والاحوال التي اكتنفت نموهم . فان القارة الاوربية كلها واقعة في القسم الشمالي من المنطقة المعتدلة فلا برد فيها يعوق أهلها عن العمل ولا حرّ يثبط الهمة ويخمل العزم . ثم ان الطبيعة فيها ليست مبذرة بحيث تغني أهلها عن الجد والاجتهاد كما هو الحال في بعض الاقطار التي يكتفي أهلها بقدر ضئيل من العمل لينالوا قوتهم الضروري

فالاوربي مضطر بحكم الطبيعة الى أن يعمل بجد ليعيش . ثم ان الجو الذي يستنشق عناصره يشدد قواه ويدفعه الى السعي والحركة . زد على ذلك ان تتابع الفصول في اوربا ومجيء الشتاء بعد الصيف مع ما بينهما من الفرق ـ كل ذلك يحمل الاوربي على التبصر في امر معاشه والاستعداد لما يقبل عليه من الايام القاسية من حيث المأوى والزاد والملبس

وما يقال في اوربا يقال في الجهات المقابلة لها من القارة الاميركية ـ ولا سيما الولايات المتحدة وكندا ـ ولكنه لا ينطبق على أي جهة من الجهات الاخرى

والعامل الاكبر في تعيين جو اوربا هو تيار « الغولف ستريم » وهو اسرع واعظم تيار في البحار كما انه في الوقت نفسه اكثر التيارات منفعة للبشر . فان مياهه القادمة من المناطق الحارة تسير محاذية للشاطىء الاميركي الى جزيرة نيوفوندلند ومنها تتجه نحو اوربا فتخفف وطأة الشتاء وتمنع تجمد البحر الشمالي وتتحف الصيادين في تلك الجهات بوارد لا يفنى من الاسماك

ثم انه ليس في اوربا حواجز طبيعية تحول دون نسمات البحار المنعشة فتتوغل مئات من الاميال في داخل القارة الاوربية

ومن مميزات اوربا عن سواها من القارات أن لخط شواطئها طولاً كبيراً . فمع ان مساحة اميركا الجنوبية ضعفا مساحة اوربا ومساحة افريقيا ثلاثة اضعافها فشواطىء أوربا اطول من شواطىء هاتين القارتين معاً . وعلة ذلك أن خلجان أوربا كثيرة تدخل في اراضيها فتطيل شواطئها

وللبحر الابيض المتوسط شأن عظيم في تاريخ الحضارة الاوربية فهو سيد البحار

كلها وعلى شواطئه شيدت الانسانية هيكل رقيها منذ أقدم الازمنة . وفي بحر ايجه (الذي هو احد اقسامه) تعلم الانسان الملاحة وعرف كيف يركب السفن ويستخدم الرياح

اجناس اوربا

نبدأ درسنا لاجناس أوربا بتقرير امرين :

اولاً ـ ان جميع الاوربيين من اصل واحد

ثانياً ـ ان منشأ اسلافهم الاول في آسيا

ولسنا ننكر ان فريقاً من العلماء يشكون في صحة هاتين القضيتين ولكن الرأي الغالب مقر عليهما

وليس أصعب من تقسيم البشرية الى اجناس . فكل تقسيم من التقسيمات المعروفة قائم على أساس يختلف عن أساس التقسيم الآخر . فبعض هذه التقسيمات اعتمد على لون البشرة والبعض على لون العيون واتجاهها وغيرها على لون الشعر ونسيجه واعتمدت تقسيمات أخرى على مميزات تشريحية مختلفة كشكل الانف وطول الاطراف بالنسبة الى البدن وسمك الجمجمة واتساعها (باعتبار ما تسعه من الرمل أو نحوه) ومحيطها الافقي والزاوية الوجهية ـ وغير ذلك من المقاييس الكثيرة

على ان المساعي العديدة التي بذلها العلماء في هذا المضمار لم تسفر عن نتيجة يصح الاعتماد عليها ولعل النتيجة الاولى لابحاثهم المستفيضة عن الفوارق بين البشر كانت أنهم قرروا وحدة البشر وتشابههم في الصفات الاساسية

ومع ذلك لم يرَ العلماء مندوحة عن تقسيم البشر الى اجناس وأن تكن الفروق بينها ضئيلة . ويتراوح عدد الاجناس البشرية حسب الآراء المعروفة بين ثلاثة اجناس (وفقاً للكتاب المقدس باعتبار نسل كل من ابناء نوح وهم سام وحام ويافث) و١٦ جنساً على رأي ديمولان . ولعل تقسيم بلومنباخ الذي يرجع الى سنة ١٧٨١ هو اثبت تلك التقسيمات كلها وأقربها الى الصواب فقد قسم الناس الى خمسة اقسام وهي : القوقاسيون والمغوليون والاحباش والاميركيون والملقيون

ويحكى عن بلومنباخ هذا انه بينما كان محيراً في تسمية القسم الاول من البشر

أتوه بجمجمة من القوقاس فرآها مستجمعة للصفات المميزة لذلك القسم فسماه القوقاسي. وليس القصد من هذه التسمية الاشارة الى ان الجنس القوقاسي ينتسب الى القوقاس أو أن له علاقة ما بتلك الجهة

وليس هذا مكان الافاضة في مميزات كل قسم من الاقسام المتقدمة . فلتراجع في الكتب المخصصة لهذا البحث . ولا يهمنا في بحثنا هذا الا الجنسان القوقاسي والمغولي لان منهما نشأت الشعوب التي سكنت القارة الاوربية . على ان سواد تلك الشعوب من القوقاسيين كما هو معلوم

والقوقاسيون اربعة أقسام أهمها اليوم قسمان : الساميون والآريون . فالساميون هم العرب والاشوريون والآراميون . اما الآريون ففريق منهم يقطن آسيا (فارس والهند وغيرهما) والفريق الآخر — وهو الاهم — يؤلف معظم الشعوب الاوربية الحاضرة . وهي خمس فرق كبرى : (١) اليونان (٢) اللاتين (٣) القلت (٤) التوتون او الجرمان (٥) السلاف . والارجح أن القلت اقدم تلك الفرق

وفي الجدول التالي بيان لتفرع الشعوب الاوربية الحاضرة من الجنس القوقاسي . أما الجنس المغولي فمثلوه في أوربا هم : الفنلنديون والاستونيون والمجر والترك والتتر

وكل مطلع على التاريخ يعلم ما اعتور تاريخ أوربا من تصادم الشعوب وتمازج الاجناس ولا سيما على اثر سقوط المملكة الرومانية . اذ أخذ المغول بالنزوح من آسيا الى أوربا . اشهرهم في ذلك العهد اتيلا ورجاله الهونيون . وجاء بعدهم الاوار والمجر والبلغار وغيرهم . ثم سطت على أوربا قبائل مغولية أخرى بقيادة خلفاء جنكيز خان الى فولغا . ثم حمل الاتراك العثمانيون على بلاد البلقان . فاوشك شرقي أوربا أن يصير مستعمرة مغولية لولم تزحف عليهم قبائل السلاف من روسيا وبلاد القوقاس وتركستان الغربية وسيبيريا

فلذلك لست تجد بين أقوام أوربا قوماً انقياء الدم فقد اختلطت تلك الاقوام اختلاطاً اصبح من المتعذر معه بيان منطقة كل منها ولا سيما في جهات الحدود القومية . وهذا هو منشأ الخلاف بين شعوب أوربا

وانا شارعون الآن في وصف الشعوب الاوربية المختلفة مبتدئين من الجهة الشرقية . واول الشعوب التي نتكلم عنها الشعوب التي تقطن البلاد الروسية

تسلسل الشعوب الاورية من الجنس القوقاسي

obeikandl.com

خريطة لغات أوربا

(الخطوط المتقطعة تشير الى الحدود السياسية قبل الحرب)

سلالات البلاد الروسية

كان الروسيون لعهد بطرس الاكبر خليطاً من الاجناس المختلفة . وكان هذا القيصر الحازم يرغم شعبه ارغاماً على اقتباس معالم التمدن . على ان أقل نتائج سياسته هذه كان انه لما ضعفت اليد الاوتوقراطية في البلاد ولم تعد الشعوب الروسية تشعر

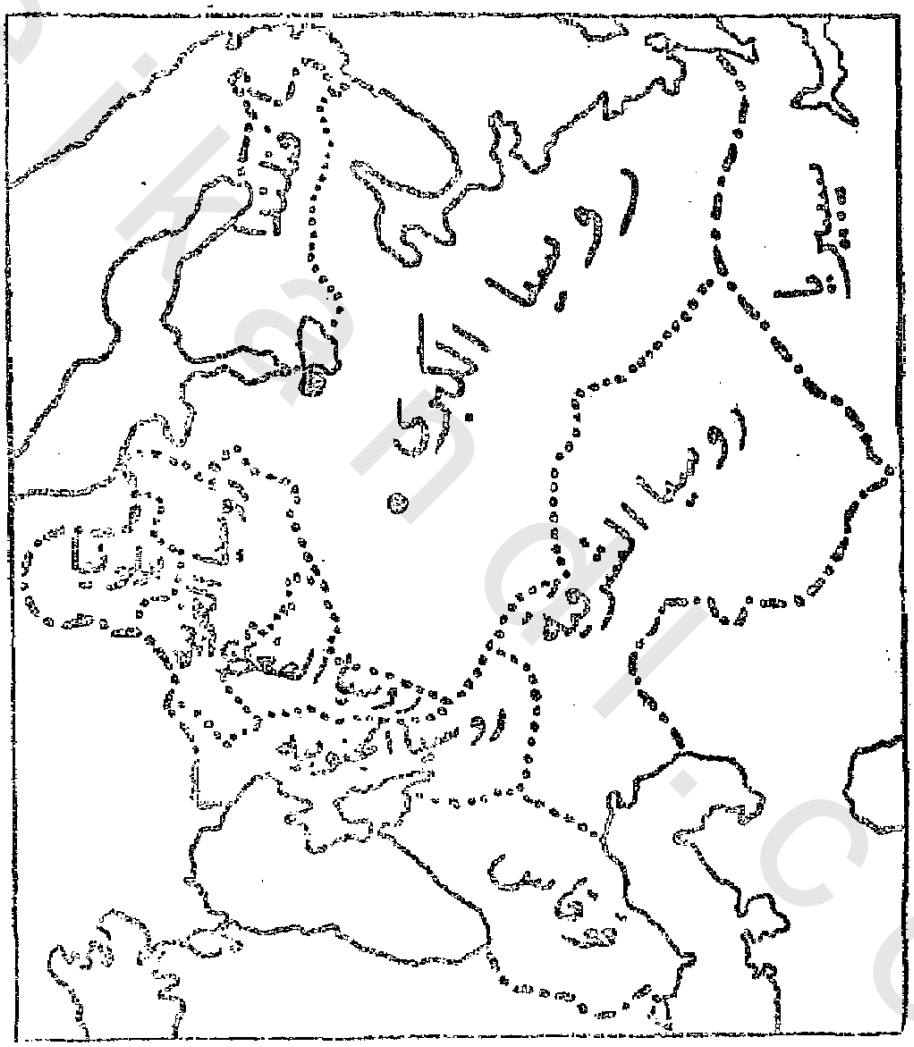

خريطة اقسام روسيا

بثقلها وضغطها انفرط عقد الاجناس المختلفة التي لم تكن ممتزجة بعضها ببعض بل كانت مضمومة ضماً بقوة الضغط القاهرة . وها نحن نرى الآن مشهد هذا الانفراط . والروسيون ينقسمون الى الاقسام الرئيسية التالية التي لم تعد أجزاء كلّ واحد :

١ ـ الروسيون الكبار

٢ ـ الروسيون الصغار
٣ ـ الروسيون البيض
٤ ـ القوزاق

كلهم سلافيون . وكلهم يتكلمون نوعاً من اللغة السلافية . وكلهم أعضاء الكنيسة الشرقية الارثوذكسية أو مسلسلون من أعضائها . ولكن كل قسم من هذه الاقسام يختلف عن غيره شكلاً وسحنة

١ ـ الروسيون الكبار

انتشر الروسيون الكبار من موسكو التي هي مركزهم التاريخي . ولفظ موسكو في الاصل اسم النهر ثم اقتبسوه لعاصمتهم الواقعة على ضفتيه وللامبراطورية المسكوفية ولقياصرة المسكوفيين . والروسي في الشرق يسمى موسكوفي . والعاصمة بطرسبرج أو بتروغراد (كما سميت أخيراً في مدة الحرب) كانت تعد أجنبية ولهذا لم تنل عطف الشعب وحبه . وأما موسكو فانقذت الشعب مدة قرنين من بغي التتر . وفي سنة ١٦١٣ سحقت البولنديين وأنجت الامة انتاجاً جديداً . ولما احترقت التهمت أمبراطورية نبوليون . ولم تزل موسكو الام المقدسة

وأما الروسيون الآخرون فليسوا الا قبائل أخرى أضيفت للمملكة بعضها بحكم الفتح والغلبة وبعضها بالانضمام الطوعي . فالروسيون الكبار هم الروسيون الحقيقيون . ويرى بينهم بعض نماذج من الشكل القوقاسي . وهم قوم عاملون . قليلو المطامع . كثيرو الاحلام . صبورون . متعبدون . قلما يحبون المسأولية . قليلو الاكتراث . لا يحسنون تطبيق العملي على النظري . سلميون . ونشيدهم الوطني هو النشيد الوحيد الذي يصلى فيه لاجل السلم . ومع ذلك متى نفخ ببوق الحرب فليس أسرع منهم الى التلبية . وما من جندي أشجع من الجندي الروسي

والروسيون الكبار اذا لم يكن ثمت شيء يتعبدونه أو يتعلقون به اصبحوا بلا قوة ولا عون . وقد كان عندهم قبلاً مرجعان الله والقيصر . أما القيصر فقد مضى وأصبحوا في هذا الاضطراب الحالي يرددون المثل السائر عندهم « السماء بعدت »

وبانتشارهم الناجم عن خصب سلالتهم ونموها لا عن التوسع في الحرب دفعوا

الفنلانديين امامهم واحتلوا نصف السهل الروسي الى الشمال . وقواهم الطبيعية (الجسدية) والادبية تأثرت كثيراً من امتزاجهم المتواصل بالفنلانديين وتزاوجهم معهم وقليلا من امتزاجهم مع التتر . وأما أبدانهم فعضلية وحسنة النسج وشعورهم ولحاهم كثة وجعداء وأنوفهم بارزة وعيونهم زرقاء أو سمراء وسحنهم زهراء غراء وعددهم يبلغ الثمانين مليوناً من سلالة واحدة وهو عدد كافٍ لتكوين مملكة

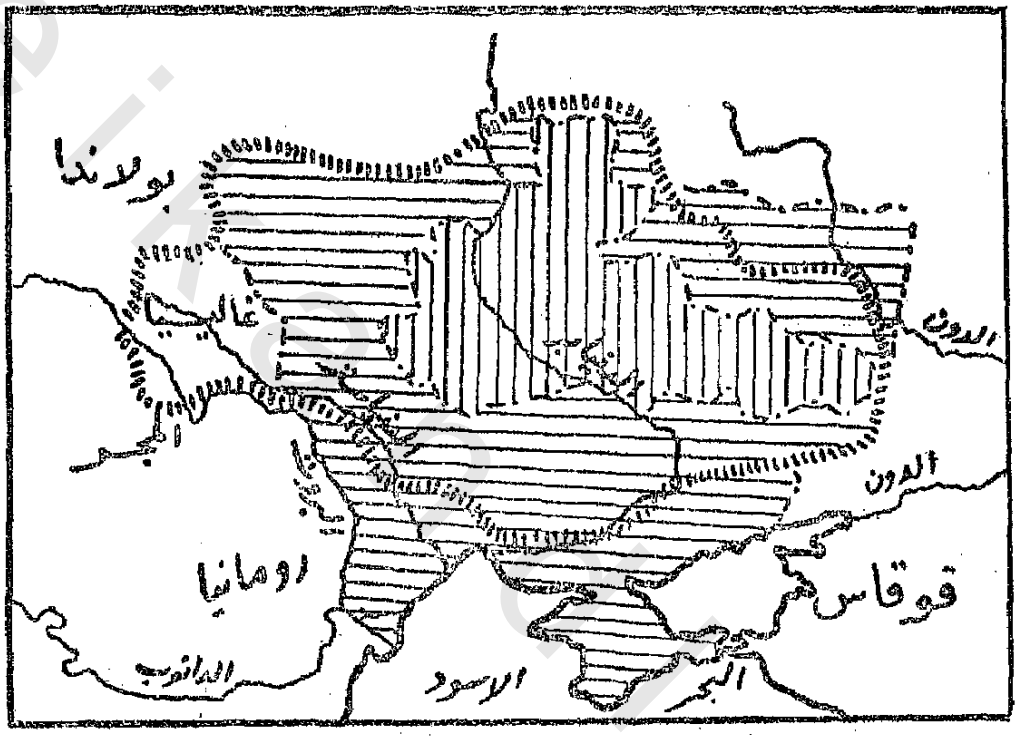

خريطة البلاد الاوكرانية
التخطيط العمودي يبين موطن الاوكرانيين الاول
والتخطيط السطحي يدل على اوكرانيا كما حددها المجلس الاوكراني
والخط الدائري يحوي الجهات التي يغلب فيها الاوكرانيون

عظمى . وبلادهم برية بحتة ما عدا الجهات المتاخمة للاوقيانوس المتجمد الشمالي . ولا منافذ لهم الى الغرب . والراجح انهم يتمنون لو ان سلسلة من الممالك الصغيرة من البحر الاسود الى خليج بوثنيا تفصلهم عن العلائق الاوروبية

٢ ـ الاوكرانيون أو الروسيون الصغار

الروسيون الصغار او الاوكرانيون يبلغون نحو ٣٠ مليوناً وبلادهم تعد في نظر الروسيين اقدس البلاد وعاصمتها كيف التي نقل اليها الملك اوليغ عرشه من

نوڤغورود . وفي اوكرانيا قضت الملكة أولغا القديسة حياتها . وفيها تنصر الملك القديس ڤلاديمير وتنصر الشعب الروسي في خرسون . وفيها جرى أهم تاريخ الكنيسة الروسية . ومن هناك صدرت الغزوات الى المملكة البيزنطية التي ضربت عليها الجزية بعد أن علق الملك اوليغ ترس النصر على بوابة القسطنطينية الذهبية

وتقارب التتر والترك وامتزاجهما معاً بالدم جعل الروسيين الصغار أميل الى الحرب من اخوانهم الشماليين (الكبار) . وهؤلاء الاوكرانيون أنحف جسماً وأقصر قامة من أولئك . وسمرتهم تجعلهم أوضح ملامح وهم اكثر ثباتاً وجلداً ولكنهم أقل تفهماً هوائيون خياليون يحبون الموسيقى شديدو التعلق بعيالهم ووطنهم

وقد فتح البولنديون بلادهم سنة ١٣٢٠ وضموها اليهم وسموها أوكرانيا أي الحاجز ضد التتر . وفي سنة ١٦٨٦ أعيد الى روسيا القسم الواقع منها شرقي نهر دنيبر

٣ ـ الروسيون البيض

الروسيون البيض سموا بيضاً لشحوب وجوههم أو لعادة اكتسائهم بالاكسية البيضاء . يبلغون نحو ٥ ملايين . ويوجدون عادة في جوار اللتوانيين . وأجسامهم ليست قوية وقلما يجهدون أنفسهم في العمل وهم بالاجمال فقراء . وليس لهم مدن حتى قلما تجد لهم قرًى وانما يعيشون في الاحراج . ولهذا كانوا غالباً فريسة الظلم والاستبداد وهو بادٍ في مظاهرهم وعاداتهم . ولغتهم تختلف كل الاختلاف عن لغة الروسيين الصغار

٤ ـ القوزاق

أوكرانيا الجنوبية ، البلاد الهمجية التي لا حدود ثابتة لها ، كانت ملجأ الالوف من العبيد والعصاة الذين فروا من تحت النير البولندي . وهناك تجمعوا جماعات متمايزة . وكانت مراكزهم الرئيسية تحت شلالات الدنيبر . وكانوا يسمون كازاكي وهي لفظة تترية معناها المخاطرون الاحرار . ولما كان الاشراف البولنديون الكاثوليك يضطهدونهم كانوا يحالفون تتر القرم وأخيراً حالفوا الروسيين الذين هم مثلهم ارثوذكس شرقيون . وكانوا سادة اوكرانيا الحقيقيين حتى ردها قائدهم شميلنيكي روسية كما كانت . وبعدئذ حاول قائد خائن (وهو المسمي مازيبا في قصيدة بيرون) ان

يسلمها الى تشارلس الثاني عشر ملك بولتافيا فلم ينجح

ولم يهدأ هؤلاء القوزاق جيلاً من الاجيال ولكنهم كانوا دائماً امناء للقيصر . فهاجروا الى القرم ومنه الى الشرق . وقد جعلوا حرساً للحدود . وهم الآن عشرة أقوام اهمهم قوزاق الدون والاوزوري واورنبورغ واستراخان

وقد قلّ تمردهم على القانون والنظام ولكن غريزتهم الحربية وولاءهم لم يقلاّ قط . والامبراطورية الروسية التي سقطت لم يكن لها من الجنود اشد ولاءً من فرسانها القوزاق الذين يبلغ عددهم ٣٢٠ الفاً

وهم في زمن السلم فلاحون ورعاة ومربون للخيل وصيادون ومربون للنحل وكرّامون . والتعليم العام عندهم ارقى من كل مكان في روسيا . اي عندهم مدارس وطلبة اكثر من سائر اخوانهم الروسيين . وهم من قبيل الصناعة والعمل والنجاح لا يستحقون الهوان الذي ينالونه من اوربا بالرغم من ضعة اصلهم

سلالات الايالات البلطيكية

ترى في الخريطة شرقي البلطيك بين خليج فنلاندا ونهر نيمن بلاداً تبلغ مساحتها ٥٠ الف ميل مربع وسكانها الاصليون الاستونيون Esthonians (او Esthers) واللتيون Letts واللثوانيون Lithuanians . وهي مستقلة استقلالا جغرافياً . وذات اهمية حربية لبتروغراد وداخلية روسيا لانها مسيطرة على البلطيك الشرقي وعلى تخوم خليج فنلاندا الجنوبية . وليس في شمال أوربا بلاد سفكت فيها الدماء وجرت الحروب كهذه البلاد . وهذه الوحدة الجغرافية تطابق الآن ايالات البلطيك الشهيرة المشتملة على استونيا القديمة وليفونيا وكورلاند . وهي كالهلال وكنصف الدائرة حول ريغا التي تعد مخفرها

والبلاد بالاجمال واطئة وكثيرة المستنقعات والبحيرات وتكسوها آجام واحراج . وفي وسطها بطحاء مرتفعة بضع مئات من الاقدام يسميها الشعراء الوطنيون « سويسرا ليفونيا »

ولا يزيد عدد سكانها على ٣١٠٠٠٠٠ نفس منهم نحو ١١٥٠٠٠٠ است

(استونيون) معظمهم في الشمال . و٠٠٠ ٥٠٠ ١ لتيُّون ولثوانيون الى الجنوب في ليڤونيا وكورلاند و٠٠٠ ٢٠٠ جرماني و٠٠٠ ١٠٠ يهودي . وما كان الروسيون في زمن من الازمان اكثر من ٢ بالمئة من سائر السكان

١ ـ الاستونيون

الاستونيون شعب فنلاندي اوغراني همجي مخاطر ارعب البلطيك بقرصنته وكان داعماً في صدام مع الاسوجيين والدانمركيين . واخيراً اخضعهم « اخوان السيف » والجرمان وحملوهم على اعتناق النصرانية وسحقوا روح نشاطهم فصاروا عبيداً لسادتهم

والاستونيون يفوقون على الجرمان في ايالة استونيا بنسبة ٢٩ الى واحد ومع ذلك فان الجرمان يملكون تسعة اعشار الاراضي . واما في ليڤونيا القديمة فان الاستونيين يبلغون نحو نصف عدد السكان تقريباً والجرمان $\frac{1}{20}$. والبلاد منقسمة الى املاك معدلها نحو ١٠ آلاف فدان لا يملك الاستونيون او اللتيون شيئاً منها وانما الجرمان يملكونها كلها تقريباً . وقد بذلت الحكومة الروسية جهدها في تحسين حال الفلاحين ولكنها لم تنجح لشدة مقاومة الملاك

والاستونيون مستمسكون جداً بلغتهم الاهلية وهو كل ما ورثوه من اسلافهم . وهم يحبون الشعر والغناء . وجوههم عريضة قصيرة بلا لحى وجباههم واطئة وافواههم صغيرة وسواعدهم طويلة وسوقهم قصيرة . وبالرغم من فقرهم فان التعليم عندهم متقدّم . وكلهم ما عدا ٤ بالمئة بروتستانت لوثريون

وفي سنة ١٩١٨ نهض الاستونيون يطالبون بحق ملكيتهم لاراضيهم

٢ ـ اللتيون

اللتيون Letts قبيلة من ثلاث قبائل متمايزة كانت تقطن متجاورة في شواطىء البلطيك الشرقية . ففي الغرب قبيلة البوروسي التي اصبحت شعباً بروسياً . وفي الوسط اللثوانيون الاصليون والى الشمال اللتيون . والجنسان الاخيران متشابهان كل التشابه في المظاهر الشخصية واللغة والعمل ومصاعب الحياة . ولهذا يحسبهما الاجانب جنساً واحداً . وانما تعين الفرق بينهما في عملية الاحصاء . على انهما شعبان مختلفان وان كان متعذراً حتى على الجنسين انفسهما تعيين الفرق بينهما . وحتى العهد الاخير

لم يخطر لهما الا قليلاً وجود هذا الفرق الجنسي . والاحوال لم تجعل لهما شأناً في التاريخ . وكلهم بروتستانت . وكان اول ما طبع بلغة اللتيين تعليم لوثر لان هذه اللغة لم تكتب حتى القرن السادس عشر

٣ ـ اللثوانيون

تعد لغة اللثوانيين في نظر علماء الاجناس والسلالات أهم لغات أوربا . فهي نسيبة لفروع اللغة السلافية الغربية . وتشبه اللاتينية اكثر مما تشبهها الجرمانية وتشبه اللغة السنسكريتية كثيراً . وقد اندمج فيها شيء من نحو السلافية وألفاظها

ولما تحير العلماء في سر أصل اللثوانيين واللتيين أطلقوا على الشعبين ولغتهما كلمة بلطو ـ سلاف . ولما كانوا يقطنون المستنقعات والآجام والاحراج لم تتكيف صفاتهم الجنسية الا قليلاً

وقد أنشأوا في القرن الثالث عشر مملكة مستقلة ووسعوها حتى امتدت أخيراً من البلطيك الى البحر الاسود . وقد قاسوا شديداً من مظالم « اخوان السيف » والفرسان التيوتون (الجرمان) . وكان الفرسان التيوتون ذوو مستشفى القديسة ماري في القدس و « فرسان أو اخوان السيف » قد تنظموا في أول الامر لغرض خيري في زمن الصليبيين . وبعد ذلك استوطنوا البلطيك وأصبحوا قوماً عسكريين واستعملوا السيف والنار لتنصير الاهالي المتوحشين واستعبدوهم

وبقي اللثوانيون وثنيين حتى تزوج دوقهم جاجيلون سنة ١٣٨٦ الملكة جادفيدجا البولندية الجميلة واعتنق النصرانية على الاثر وأمر رعاياه أن يحذوا حذوه

ومن ثم شاركوا البولنديين بكل تطوراتهم وأحوالهم . وكان لثوانيًّا القائد الذي سحق الفرسان التيوتون وهو على رأس جيش معظمه من اللثوانيين . حدث ذلك في تنبرج سنة ١٤١٠

وقد مرّت عليهم أجيال والفقر والشقاء نصيبهم الذي لم يتحوّل . ومع انهم قومٌ زرّاع وفلاّحون فمعظم الارض ملاّك جرمان وبولنديين . « وقوانين الارض » الروسية التي سنت لاجل مصلحة الفلاحين لم تفدهم اكثر مما أفادت الاستونيين

واللتيين . وكثيرون من اللثوانيين هاجروا الى الولايات المتحدة حيث أثبتوا على أنفسهم انهم عمال نشيطون بسطاء أمناء . وهم بروتستانت لوثريون ما عدا قليلين منهم

وفي الحرب الاخيرة حاربوا في الصفوف الروسية كاشجع الجنود الاشدّاء .

ونحو نصف اللثوانيين (الذين يعدون ٣ ملايين) يعيشون خارج حدود الايالات البلطيكية السابقة

اللثوانيون واللتيون أخذوا يشعرون الآن بنعرة الوطنية أو الجنسية . وهم يتمنون أن يقفوا أمام العالم وقفة الامم المستقلة . ولا يعلم حتى الآن ان كان ما فعلوهُ لاجل هذه الغاية محصور بملاّك الاراضي الاجانب الذين تزداد صولتهم ورفعتهم به أو ان سائر الشعب مشارك لهم فيه . واذا لم تتغير نظامات الاراضي تغيراً جوهرياً فحالة الحكومة السياسية مهما تنقحت فلا تفيد اللثوانيين ولا الاستونيين ولا اللتيين

الفينو ـ اوجريان

كان الفينو ـ أوجريان (وهم من الجنس المغولي) يشغلون النصف الشمالي من السهل الروسي . على ان القبائل السلافية الوافدة من الجنوب زجت نفسها بينهم كالاسفين دافعة بعضهم الى الشرق والسواد الاعظم منهم الى الشمال الغربي نحو خليج بوثنيا ولذلك قلَّ عديدهم تدريجاً لاندغامهم بالسلاف

ويوجد في الشرق شتاتٌ من قرى يقطنها اقوام مختلفة من الفينو اوجريان

وفي الغرب تجد الاستونيين في استونيا واقواماً اخرى مغولية الاصل حول نوفجوورود وشمالي بتروغراد وجنوبيها . وهؤلاء كلهم ذوو أهمية تاريخية

١ ـ الفنّيون أو الفنلانديون

أهم أقوام الفينو ـ اوجريان واكثرهم تمدناً (اذا لم نحسب المجر منهم) هم الذين يدعون انفسهم سومي ولكن أوربا تميزهم لاهميتهم باعطائهم اسم جنسيتهم العام وهو الفنيون Finns . وليس لغيرهم من سلالتهم شأن سياسي ما عدا المجر

مساحة بلادهم فنلاندا ١٢٥ ٤٨٩ ميلا مربعاً واقعة بين خليجي فنلاندا وبوثنيا. فتحت في القرن الثاني عشر ونصّر معظمها المطران هنري الذي يُظنُّ انه انكليزي ثم قتل وبعد ذلك اعتبر قديساً واصبح شفيع فنلاندا . ولم تحصل فنلاندا على استقلالها

حتى العام الاخير . وكانت اسوج وروسيا تتنازعانها على الدوام الى ان اصبحت هي وجزر آلاند دوقية مستقلة بعض الاستقلال سنة ١٩٠٩ . وكان الاهالي يصرون على عدم الاندماج بالروس . وفي سنة ١٩١٧ اعلنت فنلاندا استقلالها كجمهورية واعترفت بهذا الاستقلال روسيا واسوج ونروج وفرنسا واسبانيا ودنمرك والمانيا

الفنلانديون على العموم قصار القامة مسطحو الوجوه مستديرو الرؤوس بارزو الخدود مائلو العيون خفاف اللحى شقر الشعور . والتعليم عندهم راقٍ جداً وعام ونحو ٣ بالمئة منهم فقراء

يبلغ عدد اهل فنلاندا ٣٥٠٠٠٠٠ وهم بروتستانت لوثريون ما عدا ٥٠٠٠٠ ارثوذكسيٍّ واقل من الف كاثوليكي . وبينهم نحو ٤٠٠٠٠٠ اسوجي متغلبون في السواحل. وهلسنفور مدينة اسوجية (في فنلندا) . واذا استثنينا الجركان في اوربا نحو ٤٥٠٠٠٠٠ فينو ـ اوجريان

٢ — قوم اللاب Lapps

مع ان هؤلاء القوم انسباء للفنلنديين فهم واسلافهم من قبلهم لم يعرفوا في طوافهم الاَّ البلاد القارسة البرد ولهذا نراهم اقزاماً في الجسم والعقل معاً . ومعدل الطول فيهم ٤ اقدام وسبع قراريط ووجوههم مستطيلة وتتراءى وجوه شيوخ وابدانهم غير نامية ولا هي متناسبة وليس لشعورهم وعيونهم وسحنهم لون خاص بل هم مختلفون في ذلك ورؤوسهم اشد الرؤوس استدارة في كل اوربا . القليلون منهم على شواطىء الانهر والسواحل صيادون واصحاب مواشٍ . على ان معظمهم يعتمدون في معاشهم وشغلهم على الوعل الذي يظهر انه خلق لهم كما خلقوا له . وفي نروج منهم نحو ١٧ الفاً وفي اسوج سبعة آلاف وفي روسيا ضعف هذا العدد . وهم يتناقصون عدداً والتمدن الذي بلغ اليهم يفيدهم فائدة تذكر . والذين في روسيا منهم ارثوذكس والذين في سكنديناڤيا بروتستانت . ولا يعلم كيف ترك هؤلاء القوم الوثنية واعتنقوا النصرانية

شعوب القوقاس

ان درس شعوب القوقاس وعر المسلك كثير الشعاب لان تقسيم هذه الشعوب ودرس أحوالها في بقعة معينة يكاد يكون مستحيلا . والاحصاء الروسي الرسمي بحسب جنسيات هذه الشعوب هو بالتقريب كما يأتي :

٥٠٠٠٠٠٠٠ آريون

٥٠٠٠٠٠ عرب ـ سريان

١٩٠٠٠٠٠٠ أورال ـ التايان

٢٥٠٠٠٠٠٠ قوقاسيون

والعبارة الاخيرة (قوقاسيون) تعني قوماً لا وصف خاص لهم كما هو للاقوام الثلاثة السابقة . وقد ذكر ان نسبة الاناث الى الذكور بينهم كنسبة ٩١ الى ١٠٠

اذا أشرفنا من جبل البروز [1] نرى الى الشمال الغربي ٢٠٠٠٠٠٠ جركسي فاخري البنية نساء ورجالاً مسلمين لا شريعة مكتوبة لهم ولا لغة مكتوبة أيضاً مضيافين يحترمون المتقدمين في السن لا يعدون اللصوصية جرماً وانما يعدون اقتضاحها معرّة . والاستقلال الفردي والقومي غريزة فيهم . وقلما يحتبون للنساء قيمة اللهم سوى انها سلعة تباع . ولا تعد النخاسة الجركسية عيباً في نظر البائع ولا في نظر الشاري لان الفتيات المسبيات يعنى بهن في اخدار أسيادهن تمام العناية

وفي الشرق ٦٠٠٠٠٠٠ من القوم المسمين اللسغان Lesghians يقطنون في داغستان منذ القديم وهم مجتمع قبائل مختلفة الاساليب في الكلام مسلمون شجعان الى حد التهور . عيونهم وشعورهم مختلفة الالوان . وهم مختلفو أشكال الجماجم اختلافاً بيناً . متمسكون بحقوقهم . وهذا الشعب متجسم بجسم زعيمه شاميل الذي قاوم روسيا ٢٥ سنة

وفي الجنوب الشرقي ٢٧٠٠٠٠٠ من قوم يدعون تشتشان Chechens وهم شرسون مهوبون كرام ودودن . ديانتهم مزيج غريب من الاسلامية والنصرانية . وهم يشبهون الجراكسة كثيراً

والى جنوبي جبل البروز يقطن الجورجيون وعددهم ١٣٥٠٠٠٠٠ يدعون

(١) هو القمة الشمالية من جبال القوقاس واعلى قمة فيها

انهم من نسل طوغارما بن نوح . تنصروا نحو سنة ٣٣٠ عن يد الراهب نونا وبالرغم من توالي الاضطهاد لم يزالوا متمسكين بنصرانيتهم . وفي سنة ١٧٩٩ انضموا هم وملكهم الى روسيا تخلصاً من ضغط الاعجام . وأما ديانتهم ولغتهم فلا تزالان كلغز عسير الحل . لعلهم ليسوا هنوداً أوربيين ولكنهم ليسوا أورال التيان . وأما سحنهم فقوقاسية . ونساؤهم مشهورة بجمالها الفتان

١ — الارمن

ان وجود الارمن في جهات مختلفة وشهرتهم بالقومية والمعاناة تسوغان حسبانهم من الاوربيين . وهم بالحقيقة من الفرع الايراني من فروع العيلة الهندية الاوربية . على ان السواد الاعظم من الارمن يقطنون في صقع اسيوي كان مهد مملكتهم القديمة ومنه توسعت في القديم . والآن لا يتغلب الارمن الا في ناحية صغيرة من تلك البلاد التي أصبحت تحتوي على عناصر مختلفة غير الارمن من أتراك واكراد وكلدانيين وأعجام وسريان وبدو

وهم يدعون انهم اقدم الشعوب واسمهم الجنسي « هايج » نسبة الى « هايج » جدهم القديم حفيد او احد احفاد نوح . وبلادهم الباب أو الممر بين الشرق والغرب . وقد وطىء ارضهم الاشوريون والماديون والفرس والاغريق والرومان والبيزنطيون والمغول والسلجوقيون والاتراك العثمانيون وكلهم كانوا يحاولون على التوالي امتلاك تلك البلاد

ولما ولد المسيح كان الارمن عبدة النار اتباع زرادشت ولكن بعضهم تنصروا حالاً على أثر الصلب . ولما كان القديس غريغوريوس يعظ ويبشر بالمسيح تأثر ملكهم تيريداتس واعتنق النصرانية هو وشعبه وتعمدوا في نهاية القرن الثالث . فكان تنصرهم أسبق من تنصر الملك قسطنطين عدة سنين . ولذلك كان الارمن أولى الامم التي اعتنقت النصرانية . وملكهم اول ملك تنصر . والكنيسة الارمنية الجورجية تعد اقدم الكنائس المسيحية

وفي القرن الرابع اقتبس مزروب طريقة الابجدية اليونانية للغة بلاده ولم تزل مستعملة حتى اليوم وشرع في ترجمة التوراة وانتهى من ترجمتها في سنة ٤١٠

ومنذ القرن السادس لم يتمتع الارمن باستقلال . وكانوا في بعض الاحيان

يتمتعون بالسكينة والراحة . ولكنهم لما كانوا رعايا امم عاتية ولم يكن لهم من يحمي ظهرهم ويشد أزرهم كانت أعناقهم وارزاقهم مدة ١٤ قرناً كأنها معلقة بشعرة . حتى انهم قبل مجيء الترك قاسوا كل خوف وكل اضطراب وكل شغب عدة مرار

والارمن في الذكاء والاخلاق أرقى من حكامهم الذين كانوا يذكون نار ذكائهم ويوقدون جذوة نشاطهم بما يبدونه لهم من الحقد وما يسومونهم من الاستبداد . وكانوا متشبثين بنصرانيتهم كل هذه القرون بالرغم مما لقوه من الاضطهاد

وكانوا دائماً يهاجرون الى الاستانة وأخيراً الى الولايات المتحدة . وما قلّ منهم الماليون والمتمولون الذين حشدوا الاموال وكان منهم غير واحد وزير مالية الدولة . وفيهم كثير من الفنيين

والامة الارمنية عشاقة للتعليم فلا تجد كنيسة الا الى جانبها مدرسة . والطلبة الارمن يبرعون في العلوم الرياضية

وبالاجمال يقال ان ما نراه من العيوب في الارمني راجع سببه الى استعباده الطويل وأحوال بيئته

معظمهم قاتمو البشرة خشنوها كثاث الشعور عراض الجباه شم الانوف مفتولو العضل . وندر من لم يرَ مرأة ارمنية ذات حاجبين كالقلمين وقامة هيفاء وجمال كجمال الحسناء الايطالية أو لم يرَ رجلاً ارمنياً طويلاً جميلاً متناسب الاعضاء خير انموذج لتمثال

وتتراءى لغة الارمن في الحديث فظة خشنة ولكن اذا سمعت من فم خطيب او واعظ في الكنائس القديمة ظهرت جليلة مؤثرة كالرعد القاصف بين الصخور

والمذابح الارمنية التي أجرت الدماء أنهاراً في السنين الاربع الاخيرة على مرأى ومسمع من برلين كانت أفظع ما قاساه الارمن من الويلات . وتقرير بعثة « بريس » عن هذه الفظائع ـ التقرير الذي لا مشاحة فيه ـ وشهادة هنري مورغنتو سفير أميركا في الاستانة يشتملان على أعظم تهمة بأفظع الجرائم في تاريخ الجنس البشري

٢ — التتر الاتراك

يبلغ التتر الاتراك في روسيا نحو ٤٧٠٠٠٠٠ وهم اقوام مختلفة . بعضهم مسلمون وبعضهم بوذيون وبعضهم عبدة الشيطان وبعضهم بدو رحل وبعضهم متحضرون . ولا يهم الدارس من امرهم شيء سوى الوجه العلمي (الانثروبولوجي)

الرومانيون

من غرائب الامور انك تجد في جوار البحر الاسود عند مصب الدانوب شعباً ذا طينة واحدة يشبه الشعب الروماني القديم في لغته وشكله وتماثيله وانصابه حتى في اسمه (رومانيا) مع انه محاط بالشعوب الهنغارية والسلافية القوية ومنفصل عن رومة بكل شيء ويبعد عنها نحو ٥٠٠ ميل مسافةً و١٦ قرناً مدة

في سنة ١٠٧ جعلت داسيا القديمة (وهي رومانيا الحديثة) ولاية وفي سنة ٢٧٤ تركت للقوم البربر : في التاريخ الاول احتل الوف من العائلات الرومانية تلك البلاد الخصبة واستعمروها وفي عهد قصير اصبحت جنة الله في أرضه . وفي التاريخ الثاني تركت تلك العائلات الى رحمة الاقوام الهمجية التي كانت تحيط بها وانقطعت عن أمها رومة و بقيت تعتورها النكبات والارزاء الى ان انقذت في وسط القرن الغابر

ومع ذلك فان اللغة الرومانية كانت مكينة والتمدن الروماني كان عريقاً وثبات الداسيين كان خالداً حتى ان الامة الرومانية الحاضرة نشأت من بين هذه العوامل الاجتماعية الثلاثة

واسم الفلاخ الذي كانوا يعرفون به حتى اليوم لم يكن الا لقباً سلافياً ومعناه البدين القوي وكان يطلق على فلاحي الرومان . واخوانهم العديدون الذين يقطنون في بلاد اليونان يلقبون دائماً كوتزو ڤلاخ أو لام ڤلاخ

ومع أن الرومانيين لاتينيون في كل شيء فان العامل الجغرافي جعلهم تابعين للكنيسة الارثوذكسية الشرقية

وكانوا اذا أخضع الغزاة بلادهم يلجأون الى الجبال او عبر الدانوب و بقوا هناك جيلاً بعد جيل . ويؤكد مؤرخهم كوجلنيتشانو انهم لم يكونوا ليتزوجوا امرأة من غير امتهم . ويقول جيبون ان الفلاخ كانوا محاطين بالبربر من كل جهة ولكنهم لم يمتزجوا بهم

وبعد غزوة البرابرة الاخيرة في القرن الثالث حين انسحب الغزاة الى الشرق مزودين بالغنائم والاسلاب ومرتوين من الدماء عاد الرومانيون رويداً رويداً واحتلوا ولايتي ڤلاخيا على الدانوب ومولداڤيا بين جبل الكارپات والبروث

وكان الترك قد فتحوا هذه الجبال منذ قرنين فغزوا الولايتين المذكورتين

على ان النهضة العقلية التي بدأت منذ مئة سنة عجلت في انقاذهم من ايدي غزاتهم ومستعبديهم . فضمنت اوربا الاستقلال لتينك الولايتين سنة ١٨٥٦ . وبعد ثلاث سنين اتحدتا تحت اسم رومانيا وسمي كارول احد امراء هوهنزلرن اميراً على هذه المملكة الجديدة فاقترع الاهالي اقتراعاً عاماً على قبوله فكان معه ٦٩ ٦٨٥ صوتاً ضد ٢٢٤ . وبقي كارول يلقب بالامير حتى سنة ١٨٨١ فلقب ملكاً حتى سنة ١٩١٤ وهو والملكة كارمن سيلفا استحقا حب الشعب . والملكة ماري الحالية في عداد الكتاب المتحمسين للوطن

وكانت رومانيا حليفة روسيا حين حاربت هذه تركيا سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ فحاربت معها . وقد كوفئت على ذلك مكافأة سيئة اذ اضطرت ان تتنازل عن بسارابيا لروسيا بدل قسم من بلاد جبلية جرداء تدعى دوبروجا ثم حصلت على قسم آخر بعد حرب البلقان سنة ١٩١٣

اما دبروجا فواقعة بين اسفل الدانوب والبحر الاسود ولهذا يمكن تحسينها وتعد ذا قيمة حربية . والترك والتتر والجراكسة كثيرون بين سكانها

وفي رومانيا عدد عديد من الهنجاريين والجرمان والبلغاريين والسربيين . وعدد سكانها كلهم ٧ ٥٠٨ ٠٠٠ . والعنصر الروماني متغلب في بساريا وبوكوفيناوترانسلفانيا. وكذلك يوجد كثيرون من الرومانيين في بلغاريا واليونان وهنغاريا وسربيا وعدد الرومانيين عموماً في بلادهم وفي غيرها يبلغ نحو ١٣ مليوناً

وازدياد مواليد الذكور عند الرومانيين على مواليد اناثهم اكثر منه في كل أوربا ما عدا اليونانيين . ويلاحظ ان هذه المزية خاصة بالشعوب اللاتينية الاغريقية

وللرومانيين ولع خاص بالافرنسيس ولا يستاءون اذا قيل ان بلادهم فرنسا شرقية . وهم أنفسهم يلقبون عاصمتهم بخارست « باريس الشرقية »

وكان نصيب رومانيا من رزايا هذه الحرب كنصيب بلجيكا والجبل الاسود وسربيا . فقد كانت محاطة بالاعداء من كل جهة وعزلاء عن سائر حلفائها ولهذا اضطرت كهؤلاء ان تسلم للفاتحين تسليماً موقتاً

سلالات شبه جزيرة البلقان

شبه جزيرة البلقان هو اقرب أشباه الجزر الاوربية الجنوبية الى الشرق . وهو يلقب باسم جبال البلقان الشامخة في وسطه . وعلى ضفاف الدانوب الذي هو حده الشمالي الطريق الطبيعي لشعوبه الرحّالة التي انتشر عدد وافر منها جنوباً في البقاع الخصبة بين سفوح الجبال والنهر . والى الجنوب والغرب بطاح تظلها سلاسل الجبال فتجعلها ملجأً حصيناً تنمو فيه الجماعات والاقوام

مساحة البلقان ١٨٥٠٠٠ ميل مربع . وليس في أي مساحة كهذه في أوربا مثل ما في البلقان من تنوع الظواهر الطبيعية وتنوّع الارزاق والجماعات

وكان في الامكان انضمام أهل البلقان جميعاً لو كانوا كلهم شعباً واحداً تربطه عواطف مشتركة ، أو لو كان تحت سيطرة سلطة واحدة لا يستطيع أن يقاومها . وليس في التاريخ ما يدل على ان البلقان قطنه في زمن من الازمان شعب واحد متحد . وما استتبت فيه سلطة عليا الا نادراً والى زمن قصير

وفي كل عصرٍ من العصور كان البلقان مجمعاً لسلالات وشعوب ولغات وأديان وعواطف ومطامع مختلفة متضاربة متنافرة

يشتمل البلقان على اتراك والبانيين ويونانيين وبلغاريين وسربين وشعب الجبل الاسود

وقلما كانت تتفق حدود هذه الولايات أو الممالك مع حدود السلالات واللغات . ولهذا ترى في كل جهة التخوم الجنسية واللغوية متجاوزة التخوم السياسية أو بالعكس بحيث ان الولاية الواحدة تدعي حقوقاً أو حدوداً في الولاية الاخرى . وفي بعض الحدود لا يعرف السكان أنفسهم لاي سلالة ينتمون وأي حق سياسي يجب أن يدّعوا . ولذلك كانت الدعوات السياسية تتوالى جيلاً بعد جيل وينفق في سبيلها الاموال الطائلة لتأييدها

١ — الاتراك العثمانيون

ما من أمة من الامم الشرقية (في اوربا) يعرف أصلها ومنشأها كأمة الاتراك العثمانيين

في سنة ١٢٣٠ نزح نحو ٤٠٠ عيلة من البدو الوثنيين بزعامة القائد التتري أرطوغرول الى آسيا الصغرى (الاناضول) . وكانوا قد فرُّوا من خراسان من امام وجه الغازي جنكيزخان . وكانت آسيا الصغرى لذلك العهد قد تجزأت الى عدة مقاطعات صغيرة اكبرها وأهمها سلطنة ايقونيوم السلجوقية

ثم اعتنقت هذه العيلات الاسلام من تلقاء نفسها وحالفت السلطان علاء الدين وانتفعت من ولائها واسلامها واستقوت وأزهرت بسرعة حتى صار كل طريد من المسلمين والنصارى واليهود يلجأ الى مضاربها . وفي سنة ١٢٨١ تولى الزعامة عثمان (ومعناه كاسر العظام) فكان خير فأل لاتباعه العتاة

ولما مات علاء الدين آخر السلاطين السلجوقيين تفتت سلطنته الى عدة أجزاء ففتحها عثمان كلها ونادى بنفسه سلطاناً ومنذ ذلك الحين جعل شعبه يلقبون أنفسهم بالعثمانيين ويعدون تلقيب العرب أو الافرنج لهم بالترك أو البربر اهانة

ثم اتسعت المملكة العثمانية على يد سلاطينها السبعة الاول الذين توارثوا الملك ابن عن أب . وسابعهم محمد الثاني فتح الاستانة سنة ١٤٥٣ . ثم توالت الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها من حدود العجم الى الاتلانتيك ومضايق باب المندب حتى ارتاعت لها أوربا وجزعت

ولكنها في سنة ١٦٨٣ غلبت على امرها في فينا عن يد جون سوبيسكي البولندي فاخذت تتقلص تدريجاً حتى لم تعد مملكة الترك العثمانيين الآن تشتمل الا على جانباً من آسيا الصغرى

وقد كان تحت حكم السلطان اخيراً نحو ٢٠ مليوناً ليس الا ثلاثة اخماسهم أتراكا عثمانيين . والعثمانيون الاصليون بينهم (وهم الفرع التركي المشتق من عيلة أورال التايان) قليلون بالنسبة الى الآخرين

ولما كان الترك يحتظون النساء من أي أمة وكان كثيرون من اليهود والنصارى يندمجون مع الاتراك تاركين دينهم تغير الدم التتري تدريجاً وتطور شكل هذه الجنسية . وكان معظم الصدور العظام ومعظم وزراء البحرية في مدة القرون الخمسة الاولى من عمر هذه الدولة من السلالات اليهودية والنصرانية

والعثمانيون الاصليون ـ من باشاوات أو فلاحين ـ متشبثون بجنسيتهم فخورون مباهون محافظون وكارهون لكل ما هو أجنبي . على ان الاتراك الفتيان قد تقلدوا

العادات والتصورات الاوربية بيد انهم قلما يبدون شيئاً من فضائل الغربيين . والتركي على العموم وهو ظافر أو قابض على زمام السلطة عديم الشفقة والرحمة بيد انه وهو مغلوب ذليل وعديم الاذى . فلا أظلم منه سيداً ولا أخضع منه مسوداً

وما برح الحكم العثماني مستهلكاً غير منتج بل مخمداً لقوة الانتاج او هو كريح السموم لفح كل شعب سيطر عليه ، حتى الاتراك أنفسهم انضنكوا وافتقروا وتناقص عددهم . والحكومة لم تعتمد الا على القوة القاهرة لاطالة عمرها . وهي تتذرّع بأي الوسائل بلا رحمة ولا شفقة ولم تكن لتأنف من ارتكاب المذابح في رعاياها لافنائهم . وهي منذ مئات من السنين قد اختارت لون الدم لرايتها . ومن القاب السلطان الرسمية « ذابح الناس » أي السفّاك

٢ — الالبانيون

الالبانيون يقطنون صقعاً واقعاً شرقي البحر الادرياتيكي . وأصلهم ولغتهم موضوعان معقدان للباحث . والراجح انهم اقدم شعوب أوربا الشرقية ومن سلالة القوم البيلاسجي . ولغتهم خليط من الالفاظ اليونانية واللاتينية والطليانية والسلافية والتركية . ولكن أجروميتها مختصة بها

وللالبانيين محافظة غريبة على جنسيتهم فان نزالاتهم في ايطاليا وصقلية التي يرجع تاريخها الى ١٥ قرناً وعددها نحو ٢٠٠٠٠٠ لم تندمج الا قليلا بالطليان ولم تزل محافظة على لغتها وعاداتها . وكذلك النزالة الالبانية في بلاد اليونان وتبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠ فانها ليست اكثر اندماجاً بالاهالي

وسر قلة اندماجهم هذه انما هو في احتقارهم للاجانب وافتخارهم باسلافهم في حين انهم يجهلون حقيقة اسلافهم . فهذا الافتخار وحياتهم الجبلية أحيا فيهم حب الاستقلال . وهم فقراء شرسون شجعان حربيون وهم عدة فضائل كالولاء والكرم والضيافة . وآمن مكان للمرأة جبالهم المخوفة . وعددهم في بلادهم وفي مهاجرهم نحو مليون ونصف . وقبائلهم عديدة

ونهر شكومي يفصل فريقي الالبانيين المسيحيين : فالى الشمال الكاثوليك والى الجنوب الارثوذكس . الاولون يستعملون الابجدية اللاتينية في كتاباتهم والآخرون الابجدية اليونانية . اذ ليس لهم أبجدية خاصة بهم مع ان بعضهم حاول استنباط

أنجديات مختلفة لم تسد النقص تماماً وبعضها كان مستهجناً . ونصف الالبانيين مسلمون وقد أسلموا بعد الفتح وهم يرتدون تدريجاً الى دينهم السابق أو يهاجرون

ومن أعلامهم المشهورين البطل المغوار جورج كاستريونا أو سكندر بك الذي تغلب على الترك مدة عشرين سنة . ومنهم ماركو بوزاريس ومحمد علي باشا الشهير

وما كانت سياسة أوربا الخرقاء بأخرق منها يوم عينت البرنس ويد ملكا على البانيا سنة ١٩١٣

٣ — الاغريق

ان خريطة بلاد اليونان في القرن السادس قبل المسيح تصلح خريطة للبلاد التي يقطنها اليونانيون اليوم . وقد نزل المستعمرون اليونانيون قديماً في جنوبي فرنسا وجنوبي ايطاليا واندمجوا مع الافرنسيس والطليان . وفيما سوى ذلك فالاغريق الذين كانوا منذ خمس مئة سنة قبل المسيح وأغريق السنة التاسعة عشرة من القرن العشرين هم هم

على ان سيولاً من الغزوات فاضت على بلاد اليونان ـ القوط والبندقيون والالومباردیون والافرنسيس والجرمان والعثمانيون والالبانيون والفلاخ ـ كل هؤلاء غزوا بلاد اليونان وكثيرون منهم بقوا او تركوا نسلاً فيها . وقد كتب قسطنطين بورفيروجنيتوس في القرن العاشر : « أصبحت بلاد اليونان كلها سلافاً » . وهنري ده ڤالانسيان في القرن الثالث عشر حسب شعب بلاد اليونان افرنسيًّا . وفالميراير في القرن التاسع عشر برهن ان الاغريق لم يكد يبقى في عروقهم دم أغريقي

منذ خضع الاغريق للرومان ظلوا عبيداً للاجانب وقد حكمهم الاتراك ثلاثة قرون ولم يتحرروا الا بعد سبع سني الويل التي استغرقتها الثورة اليونانية من سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٨

ومع ذلك فان مدنيتهم تطرقت الى الامبراطورية الرومانية الشرقية حتى سميت هذه بعد القرن السابع الدولة الاغريقية او البيزنطية . وحتى أوائل القرن التاسع عشر كان جميع المسيحيين في شبه الجزيرة (البلقان) يدعون أغريقاً . ولغتهم التي لم تمت (وكانت لغة الطقس الرسمي في الكنائس) لا تزال هي لغتهم الدارجة رغم ما تطرق اليها من الفساد أو التطور

وبالرغم من تشتتهم واندماجهم مع العناصر الاخرى بقيت لهم سحنتهم الاصلية وعاداتهم ومعالمهم وأخلاقهم وأذواقهم . فلم يزل وجه الاغريقي بيضياً ولونه زيتونياً وشعره كثيفاً اسود وعيناه برّاقتين وسوداوين . ويندر ان ترى أغريقياً أشقر البشرة والشعر

ولا يزال الاغريقي صديق البحر فان معظم التجارة في البحر المتوسط في يده . وفي سنة ١٩١٦ دخل الى بيروس اسكلة أثينا ٢٦٥٨ باخرة منها ٢٤٩٤ كانت تحت الراية اليونانية . ومراكب اليونان الشراعية التي يبلغ معدل حمولتها ٢٥٠ طناً عديدة في الشرق

اليوناني تاجر مقدام وعامل نشيط . وكثير من مصارف جنوبي أوربا يونانية . والسياسة أهم المهن عند اليونانيين الحديثين كما كانت عند قدمائهم . ومع ذلك لم ينبغ بينهم سياسي عظيم سوى فنزيلوس وهو كريتي

وكان من نتائج حرب البلقان في سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ ان أضيف الى بلاد اليونان ١ ٤٠٠ ٠٠٠ يوناني كانوا قبلاً من رعايا تركيا . وبعد ذلك أضيفت جزيرة كريت الى اليونان . وعدد السكان الحالي ٥ ملايين . وازدياد عدد الذكور على الاناث في بلاد اليونان اكثر منه في أي بلد في أوربا

٤ — البلغاريون

من أصل فينواوجرياني . واسمهم مشتق من نهر فولغا الذي نشأت عنده مملكة بلغاريا الكبرى في القرن الخامس . فمن هذا النهر قاد زعيمهم بعض فرسانهم سنة ٦٧٩ فقطعوا الدانوب وأخضعوا السلاف على شاطئه الجنوبي . ولان عددهم قليل اندغموا بالسكان السلافيين . ولما تنصروا في القرن التاسع عن يد مرسلين اغريقيين تم اندغامهم بهم

بقي اسمهم بلغاريين ولكنهم أصبحوا سلافيين في اللغة والنظام والعادات . ولهذا يعدّ البلغاريون شعباً سلافياً

وقد أخضعوا كل القسم الشمالي من الجزيرة من البحر الاسود الى الادرياتيك . وأخيراً انشقت مملكتهم الى قسمين فتغلب عليهما الامبراطرة البيزنطيون . ولكنهم شقوا عصا الطاعة غير مرة وخرجوا على الدولة البيزنطية وانضموا أخيراً في مملكة

واحدة اقوى من الاولى تحت حكم قيصرهم الكبير اسن الثاني فحكم بالحكمة

ثم تلا ذلك تقهقر وانحطاط حتى صار البلغاريون يدفعون الجزية للملك السربي دوشان . واخيراً اضطرّ الاتراك العثمانيون ملك البلغار أن يخضع للسلطان وأن يقدم أخته الى دار الحريم

وعقب ذلك خمسة قرون خضع فيها البلغاريون للسلطنة العثمانية . فاعتنق كثيرون من البلغاريين الاسلام وعرفوا هم وأولادهم وأحفادهم من بعدهم بلفظ « پوماك » . وعلى اثر الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ و١٨٧٨ حررت روسيا بلغاريا

وهذه الولاية المعتوقة الملقبة بالامارة البلغارية لم تكن تشتمل الا على القسم الواقع شمالي جبال البلقان . وبعد ٧ سنين شبت ثورة اسفرت عن ضم الروملي الشرقية اليها وهي جنوبي البلقان . ومع أن بلغاريا تحررت فقد جعلتها الدول العظمى امارة تابعة لتركيا تدفع لها الجزية السنوية . وفي سنة ١٩٠٨ أعلنت بلغاريا استقلالها وسمي أميرها قيصر البلغار

ولما كان كثيرون من البلغاريين واليونان والسربيين لا يزالون تحت النير التركي تحالفت اليونان وسربيا وبلغاريا والجبل الاسود وأثارت سنة ١٩١٢ حرباً على تركيا بحجة انقاذ هاتيك العناصر . وهي اول مرة اتحدت فيها الممالك النصرانية البلقانية

على ان ذلك الاتحاد لم يدم طويلاً لان كل واحدة منهنّ غالت في مطامعها . وكان أشد مطامعهن المتنافرة في موناستير التي جمعت كل العناصر . وكان الحكم التركي قد امات كل عاطفة جنسية او وطنية في تلك العناصر . وكثيرون لم يدروا هل هم بلغاريون أو سربيون أو يونان

وفي سنة ١٩١٣ فاجأت بلغاريا حليفتيها بهجوم عنيف اسفر عن فشلها وانكسارها . وفي سنة ١٩١٥ اتحدت مع الممالك التيوتونية لانها اعتقدت بأن انتصارها محتوم في الحرب العظمى . ولكنها في سنة ١٩١٨ لما رأت ان انكسار حلفائها اصبح محتوماً سلمت لاعدائها متوسلة الى الصلح

على انه في حوادث هذه السنين الاخيرة يجب التمييز بين الشعب البلغاري وملكه الجرماني النزعة . فالشعب اطاع ملكه ولكنه لم يكن على رأيه في سياسته الخرقاء

وفي سنة ١٩١٧ كان ثلاثة ارباع سكان البلاد (الذين بلغ عددهم حينئذ ٥٥١٨٠٠٠ ومعظمهم من اتباع الكنيسة الشرقية الارثوذكسية) من البلغاريين

اللغة البلغارية تعد اقدم اللغات السلافية واحدثها في وقت واحد . فالاجرومية تدل على الحداثة ولكن الاسلوب اللغوي قريب جداً للغة السلافية القديمة

وكان معدل المواليد سنة ١٩١٠ نحو ٤١ لكل الف . وفي سنة ١٩١١ كان عدد المواليد يزيد على عدد الوفيات بنحو ١٨ بالالف وهي زيادة ليس مثلها في امة من امم اوربا

والبلغاريون شعب نشيط مجتهد نبيه شديد البأس . وهم عمليون لا تصوريون خياليون

٥ — السربيون

كان السربيون لاول الامر يقطنون سفوح ومنحدرات جبال الكربات مع اقاربهم الكرواتيين . وفي القرن السابع احتل الفريقان جنباً الى جنب غربي شبه الجزيرة وغربيها الشمالي . وكلاهما اعترفا بالامبراطور البيزنطي سلطاناً عليهم

السربيون يملأون سربيا الحالية ويتدفقون الى ما حولها — الى البانيا الشمالية والجبل الاسود والبوسنه والهرسك وربما رأيتهم الى شمال هذه ايضاً . اما الكرواتيون فقد استقروا في الغرب الشمالي

وقد تنصر السربيون قبل سائر القبائل السلافية . على ان البيئة الجغرافية جعلت السربيين الذين من جهة الشرق اتباع الكنيسة الشرقية الارثوذكسية كما جعلت الكرواتيين الذين يسكنون غرباً اتباع الكنيسة الكاثوليكية . وقد حالت التحزبات الداخلية دون نموهم . فكانوا في القسم الاول من تاريخهم اتباعاً للبلغاريين والبيزنطيين على التعاقب ولم يستقلوا حتى القرن الثاني عشر

ومع ان المملكة السربية لم تدم اكثر من ٣٠٠ سنة فان اثنين من قياصرتها ستيفن دوشان الكبير ولازا جعلاها مجيدة

وقد تزوج دوشان القيصرة البلغارية هيلانة فاتفقت معه على غزو تركيا التي كانت تتهدد البلاد فوحّد دوشان كل قوات شبه الجزيرة لهذه الغاية ولكنه مات في خلال زحفه على الاستانة . وقد كان هذا القيصر سامي القصد وكان مشترعاً قديراً وسياسياً محنكاً وجندياً باسلاً

ثم جاء لازا وتولى مهمة دوشان وحارب حرباً مجيدة ولكنه سقط في سنج

١٣٨٦ في معركة قوصوه ويقال ان سبب سقوطه خيانة . ومع ان سربيا ضعفت فان روحها لم تتكسر فبقيت تقاوم ٧٠ سنة ولكنها جعلت اخيراً ولاية عثمانية

على ان بعض قبائل الجبال بقيت تحارب الاتراك . وفي سنة ١٨٠٤ اجتمع السربيون بقيادة قره جورج وبعد حرب ٢٥ سنة عقدت المعاهدة التركية الروسية التي اعترف فيها السلطان باستقلال سربيا الداخلي . وكان قد ظهر زعيم آخر يدعى ميلوخ اوبرانوفيتش . فاشتد التنافس بين عائلتي قره جورجوفيتش واوبرانوفيتش . ومع انه لم تحدث بسبب الميلتين حرب أهلية فقد سودتا تاريخ سربيا . فحكمها ثلاثة من العيلة الاولى وخمسة من الثانية وانقرضت أسرة أوبرانوفيتش سنة ١٩٠٣

ولما انتهت الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٨ نالت سربيا استقلالها التام واصبحت مملكة بعد ذلك باربع سنين . ولما اتحدت بلغاريا والروملي الشرقية غضبت سربيا فاعلنت الحرب سنة ١٨٨٥ ولكنها انكسرت شر كسرة في سلفنيتزا . على ان الحرب التي حدثت سنة ١٩١٢ واشتركت فيها سربيا كانت ذات نتيجة صالحة اذ تحررت فيها جميع العناصر غير التركية من نير الترك . ولما انتهت هذه الحرب بحرب أخرى بين البلقانيين كان لسربيا الفوز على بلغاريا

ولا يخفى ان حكاية الانذار النمساوي وغزوات النمساويين الثلاث لبلاد السرب ويأس السرب أخيراً من مقاومة اعدائها — كل ذلك يجعل للسرب شأناً خطيراً في تاريخ الحرب العظمى

يبلغ سكان سربيا نفسها ٤٦١٦٠٠٠ كلهم سربيون تقريباً . وعدد السربيين القاطنين في اوسترياهنغاريا (النمسا) السابقة يقدر بنحو ٥ ملايين معظمهم ابناء واحفاد الذين هاجروا اليها بعد معركة قوسوه

واللغة السربية خالية من الخشونة وتعد من خير اللغات الصالحة للشعر والتلحين . يقول شافاريك وهو من قوم التشيك : « تشبه الاغاني السربية ألحان الكمنجة . والاغاني السلافونية القديمة ألحان الارغن . والاغاني البولندية ألحان القيثارة . وتشبه اللغة السلافونية القديمة خرير المياه المنحدرة من الجبال . والبولندية تحاكي الرشاش وتدفق الماء من الينابيع . والسربية تحاكي خرير الجدول في الوادي »

قلال اغنياء السربيين ولكن ليس من فقير بينهم ولم يكن من معدم قبل سنة

١٩١٤ . لكل عائلة منزل تملكه مهما كان صغيراً وحقيراً . وحياتهم ديموقراطية محضة . وقد كانوا يحبون الملكة السابقة ناتالي « لانها كانت تسير في الشوارع عارية الرأس وشعرها مرسل تتلاعب فيه الرياح» . وهم شعب نشيط سريع الحركة حسن الظن مبسوط الكف . ضارع البلجيكيين في تحمله المشاق وتجشمه الاخطار وفي اعماله الحربية المجيدة . وقد خرج السربيون من المعمعة الحربية شعباً مكتسباً ثقة العالم ثابتاً في مبادئه معتمداً على نفسه

٦ ـ الجبليون الاسودون

يروى في الاسطورة السلافية ان الله لما صوّر الارض حمل كيساً كبيراً مملوءاً من الجبال وجعل يبذر منه كما يبذر الفلاح البذار في الارض . واتفق ان الكيس انخرق شرقي الادرياتيك ووقع منه كثير من بذار الجبال فنبت وتكوّن منه الجبل الاسود الكثير الشعاب والقمم

الجبليون هم نموذج الابطال ومثال الاحرار . وهم سربيو الاصل . فانه بعد ان تدمرت مملكة السربيين في قوصوه لجأت زمرة منهم الى هذه الجبال آبية ان تخضع او تهاجر فانقطعت عن كل مدد او مساعدة من الخارج واصبحت محاطة بالعثمانيين الاتراك من كل جهة . وقد هاجمهم الترك مراراً عديدة بقوات عظيمة فكانوا يهزمونهم ويدحرونهم مترفعين عن أي محالفة او موالاة لهم او لأي دولة . فحافظوا على استقلالهم من سنة ١٣٨٩ الى سنة ١٩١٦

وكان المحرك الرئيسي في حياتهم الاجتماعية والسياسية مبدأ مقاومة الترك . وكان حاكمهم دائماً اسقفاً (يسمونه فلاديكا) لانه وهو مقدس ومنزه لا يخضع لمقاومة الترك ولا يقبل رشوة منهم . وكانت خلافة هذا الحاكم تنقل من العم الى ابن الاخ ثم اصبحت امراً وراثياً سنة ١٨٥١

واعترف السلطان باستقلال الجبل الاسود سنة ١٧٩٩ وبعد ٧٩ سنة اعترفت به اوربا كلها . على ان هذه المملكة الصغيرة التي ثبتت قروناً مستقلة فكانت كمثال الحرية في شبه جزيرة البلقان اخضعها العنصر التيوتوني برهة سنة ١٩١٦

يبلغ عدد الجبليين نحو ٤٠٠٠٠٠ . وكلهم كبار الهامة عراض الاكتاف منتصبو

القامات . ومن اهم خصائصهم انهم جبليون محبون للحرية وقد عاشوا مبتعدين عن الغرباء قلال الثقة بهم . نساؤهم شجيعات واميناتٍ كرجالهن لا يقبلن المذلة . وهيلانة ابنة ملك الجبل الاسود نقولا الاول هي زوجة فكتور عمانوئيل الثاني ملك ايطاليا

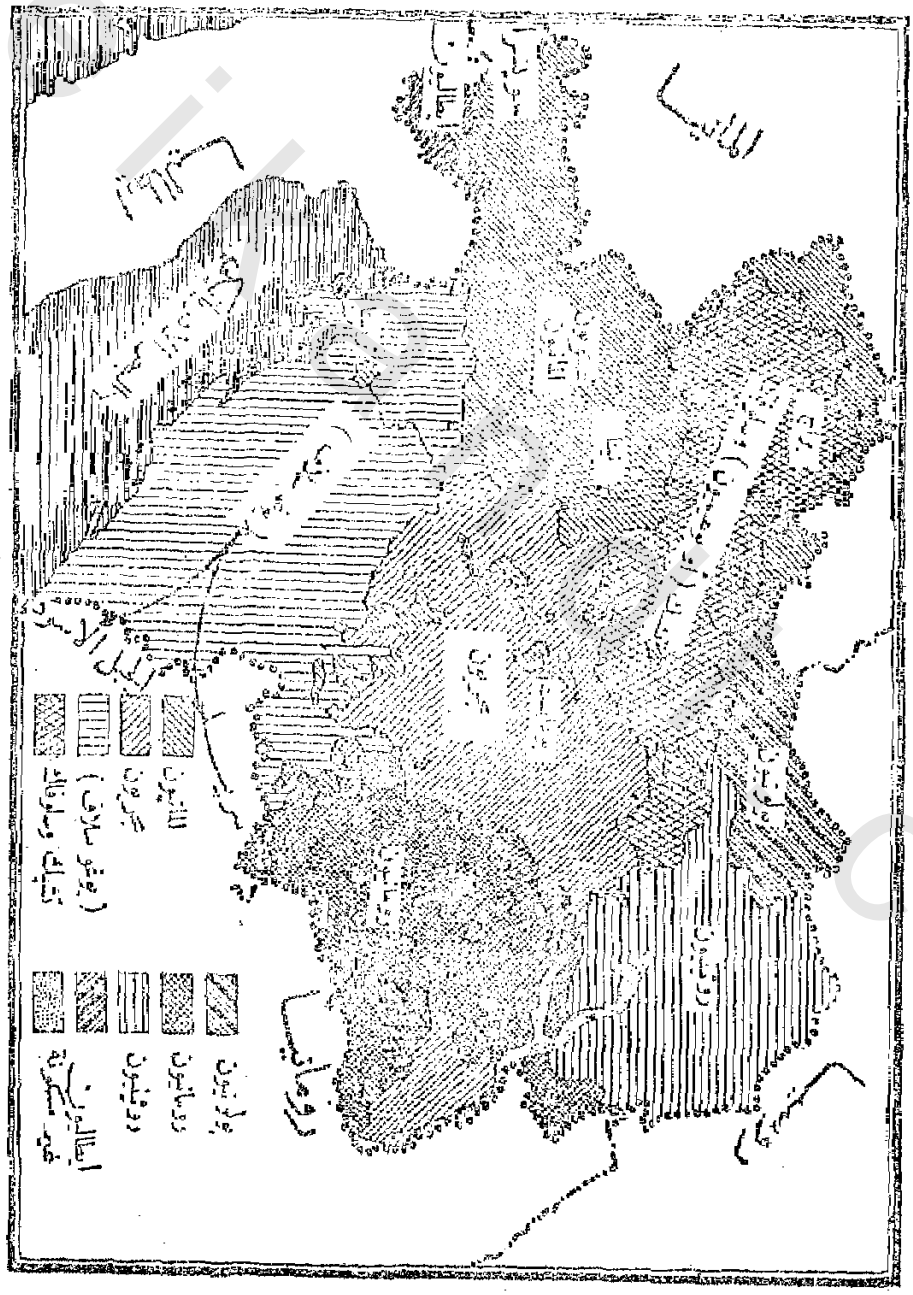

يوغوسلافيا

(اي بلاد سلاف الجنوب)

كانت امنية زعماء الكرواتيين والسلافونيين وزعماء مملكة سربيا ايضاً توحيد عناصر اليوغوسلاف . وقد راموا ان يضموا معاً البوسنيين والهلفاتيين والكرواتيين والسلافونيين والدلماطيين والسلوفينيين (وهم من رعايا النمسا سابقاً) واهل الجبل الاسود وسربيا وبلغاريا

فالحرب العظمى قد حققت هذه الامنية اللهم ما عدا بلغاريا . ولما حالفت بلغاريا الاتراك الذين قضوا القرون يضطهدون السلاف وارسلت جنودها لمحاربة السربيين هاج عليها جميع السلافيين أشد من هياجهم ضد الجرمان

والعقبة الوحيدة في سبيل هذا الاتحاد الاختلاف في التابعية الكنسية . فمعظم اليوغوسلاف اتباع الكنيسة الارثوذكسية الشرقية والباقون كاثوليك ما عدا المسلمين القلائل

وهناك عقبة اخرى دون اتحاد العناصر المذكورة وهي قلة اختبار بعضها للحكم الذاتي وعدم ممارستها له . واذا استثنينا الجبليين والسربيين في سربيا نفسها فسائر الجماعات الاخرى تقلبت على انواع احكام مختلفة تحت سيادة حكام اجانب من ترك ونمساويين ومجر منذ العصور الوسطى . ولا يخفى ان نظام الاتحاد اصعب النظامات واعقدها ويستلزم درجة سامية من الذكاء وحسن الادارة

وبقيت فكرة هذا الاتحاد خرافة للسواد الاعظم من الاهالي الى ان قام الآن بعض ذوي الاحلام ينادون بها واثقين بامكانها وان كانوا في الاصل من رعايا تركيا أو النمسا . ومع ذلك فما كل العناصر السلافية الآن ترغب بتحقيق هذه الفكرة . ومن جملتهم السلوفينيون فانهم ممن لا يحبذون هذه الفكرة . فالحالة تشبه من بعض الوجوه حالة الولايات الاميركية الاولى بعد الثورة الاميركية وقبيل وضع القانون الاساسي

وهناك عوامل قوية تحمل على التعاون بين هذه العناصر . فهذه الشعوب من سلالة

واحدة وحولها الغرباء من كل جانب . واللغة السربية لغة الجميع لولا بعض الفروق البسيطة . وهي اللغة الادبية والكتابية للكرواتيين والبوسنيين والهلفاتيين والسلافونيين والسربيين ولبعض الدلماطيين . ورابطة اللغة والسلالة قوية

ولا يوجد بين هذه العناصر عداوة موروثة . وهو غني البيان ان الذين حاربوا منهم مع النمساويين لم يفعلوا كذلك الا تحت الضغط العسكري . ثم ان تلك العناصر تعتقد بحق زعامة سربيا الطبيعية عليها جميعاً

والعامل الرئيسي في توحيد هذه العناصر هو يقين كل منها انها اذا لم تتحد فاستقلالها السياسي معرَّض للخطر . ولا ريب ان محاولة اليوغوسلاف الحصول على الحكم الذاتي عن طريق هذا الاتحاد تنال عطف كل من يعتقد بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها

١ ـ البوسنيون

اليوغوسلاف الذين كانوا رعايا النمسا حتى العهد الاخير هم البوسنيون والهلفاتيون والكرواتيون والدلماطيون والسلافونيون والسلوفينيون وبينهم بعض اليهود والاجانب

والبوسنيون الذين اقتبسوا اسمهم من نهر بوسنا هم سربيون وكرواتيون . وكانت لهم مملكة مستقلة لمدة قصيرة تحت حكم حاكم يلقب « بان » . وهم منقادون بحكم عاطفة القرابة الى اخوانهم السربيين . وفي عاصمتهم سراجيفو حدث في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٤ مقتل ولي عهد النمسا وزوجته الدوقة هوهنبرغ ـ المقتل الذي كان الجذوة الموقدة للحرب العظمى

٢ ـ الهلفاتيون

الهلفاتيون او الهرسكيون هم سربيون وكرواتيون وقد لقبوا كذلك لان ولايتهم اقتطعت من البوسنه لمنفعة ارشدوق اجنبي (ويسمى Herzog ومنها Herzegovina)

٣ ـ الكرواتيون

كان الكرواتيون مدة طويلة متفقين اتفاقاً وداديا مع السربيين الذين يشبهونهم كثيراً . وفي سنة ١٩٠٨ اعلن امبراطور النمسا ضم البوسنه والهرسك

الولايتين العثمانيتين اللتين يبلغ عدد سكانهما المليونين . و ٩٨ بالمئة منهم سربيون او كرواتيون . ومنهم ٤٢ بالمئة اورثوذكس يدعون انفسهم سربيين و ٢٨ بالمئة كاثوليك يدعون انفسهم هلفاتيين و ٢٠ بالمئة مسلمون يدعون انفسهم اتراكاً

٤ ـ الدلماطيون

الدلماطيون يقطنون سلسلة طويلة ضيقة من الجبال القائمة على شاطىء الادرياتيك الشرقي وجزر الادرياتيك الشرقية ايضاً . وكانوا دائماً يلقبون بالباغاني او الوثنيين هزءاً وسخرية لانهم آخر من اعتنق النصرانية من السلافيين . ولما كانوا قد هاجروا افواجاً كبيرة تفوقوا على الوطنيين واندغم هؤلاء فيهم ولذلك بقيت لهم صفاتهم الخاصة . وكما ان السلافيين لقبوا الرومانيين المتكلمين باللاتينية فلاخاً هكذا لقب السلافيون الذين غزوا دلماطيا الشعب اللاتيني الذي وجدوه هناك فلاخاً ايضاً او ماڤرو فلاخ ـ اي الفلاخ السود ـ ومن ذلك اشتقت كلمة مورلاخ الانكليزية التي عرف بها السلافيون الدلماطيون

والثوب الدلماطي الخارجي الذي يلبسه رجال الكهنوت الكاثوليك في الحفلات الدينية ويلبسه الملوك في حفلات التتويج اقتبسته روميه من دلماطيا في القرن الثاني ايام كان يستعمله اشراف دلماطيا فقط

دلماطيا المتوسطة بين البندقية وهنغاريا لم تكن ذات استقلال سياسي . وفي القرنين الاخيرين تعاقب في امتلاكها البندقية وفرنسا واوستريا (النمسا) . وكان منها خير البحارة في الاسطول النمساوي

٥ ـ السلوفينيون او الوند

السلوفينيون او الوند Wend يقطنون خارج شبه جزيرة البلقان في الولايات النمساوية السابقة المعروفة باسم كارنثيا وكارنيولا وستيريا . وهم يخالفون في العادات والمقاصد اخوانهم الكرواتيين والسلافونيين مخالفة شديدة . وكانوا دائماً يصاهرون الجرمان والطليان والهنغاريين حتى اصبحوا لا يعبأون بشؤونهم الجنسية . وهم شعب نشيط لين العريكة قلما يميل للمقاومة او للتذمر . ولعل النمساويين لهذا السبب

لاينوهم دون سائر السلافيين . يبلغ عددهم نحو ١٣٥٠٠٠٠ وهم كاثوليك يستعملون الابجدية اللاتينية

٦ ـ السلافونيون

السلافونيون هم جيران الكرواتيين من الشمال . وفي سنة ١٨٤٠ اوجب الهنغاريون على الشعبين استعمال اللغة المجرية فكرهوا كل ماهو مجري واتقد هذا الكره واحتدم وقامت قيامة الشعب بسببه في كل مكان

وبعد سنة ١٨٦٨ منح السلافونيون والكرواتيون الشرف الفارغ في تلقيب بلادهم بالمملكة السلافونية الكرواتية . ولما كانت هنغاريا هي المسيطرة على مملكتهم كان الوزير الهنغاري يعين ملكهم الذي يسمى بلغتهم « بان » . وكان هذا الملك عرضة للعزل بأمر الوزير . وكان المجلس الاهلي مختصاً بالمصالح المحلية فقط ولا تنفذ قرارات هذا المجلس ما لم يوافق عليها المندوب الهنغاري الخاص بالمملكة الكرواتية السلافونية الذي كان ايضاً عضواً في الوزارة الهنغارية

ومشروع المملكة الكرواتية السلافونية على هذا النحو كان ملطفاً لشموخ الشعب . ولكنه لم ينجح طويلاً فما لبث ان هاج سخط الاهالي اذ تحققوا انه كان تمويهاً على عيونهم وضحكاً على ذقونهم

تشيكوسلوفاكيا

(اي بلاد التشك والساوفاك)

كانت المملكة الاوسترو هنغارية شاذة في نظامها وفي تعدد شعوبها . واذا ألمنا قليلاً الى نظامها سهل علينا فهم حاضرها ومستقبلها

تشتمل هذه المملكة (اوستريا هنغاريا) على قسمين متساويين مستقلين اوستريا وهنغاريا . كان في اوستريا سنة ١٩١٠ نحو ٩٩٥٠٠٠٠ نفس جرمان و ١٨٢٤٣٠٠٠ غير جرمان من عناصر مختلفة اهمها السلاف . وكان في هنغاريا سنة ١٩١٠ نحو ١٠٠٥١٠٠٠٠ مجري و ١٠٨٣٦٠٠٠ غير مجري من عناصر مختلفة

ومع ان الجرمان ليسوا الا ثلث السكان في احد قسمي المملكة كانوا المسيطرين فيه . ومع ان المجر اقل من نصف السكان في القسم الآخر كانوا هم المسيطرين هناك ايضاً . وقد تولوا السياسة الداخلية والسياسة الخارجية

على ان الجرمان (النمساويين) والمجريين لم يكونوا قط على وئام . فالنمساوي كان غريباً في بودابست والمجري غريباً في فينا . على ان كلاً منهما كان يعتقد ان سلامته متوقفة بالاكثر على محالفته للاخر . وتفوُّق كل من هذين العنصرين يعزى نوعاً الى احتكار القوة عهداً طويلاً والى الذكاء والمهارة في التدبير

ولكنهما اعتمدا ايضاً على التناظر والتحاسد بين الرعايا السلافيين وانقسامهم الذي كان يذكي ناره العنصر المتسيد . وكثيراً ما كانت بعض الشعوب السلافية تدنو من امانيها وتحقق آمالها لولا ان يقاومها السلاف الآخرون او ان تنقسم فيما بينها

ان تفتت الامبراطورية النمساوية (اوسترو هانغاريا) ترك المجريين على حالهم السابقة بدون تغيير يذكر . واما النمسا فقد تفتت . ولا يزال النمساويون الالمان جسماً متيناً متحداً . على ان كل شعب من الشعوب السلافية نهض لتحقيق امنيته الجنسية

وقد اشرنا فيما مضى الى السلاف الجنوبيين او اليوغوسلاف رعايا اوستريا هنغاريا سابقاً (اي البوسنيين والهلفاتيين والكرواتيين والسلافونيين والدلماطيين والسلوفينيين) . واما بقية السلاف الذين كانوا رعايا اوستريا فهم التشك والمورافيون والسلوفاك والروثينيون

وقد اعترفت دول الحلفاء والولايات المتحدة بالتشك والسلوفاك والمورافيين كامة مستقلة باسم الامة التشكية السلوفاكية

١ ـ التشك

التشك اقرب الشعوب السلافية الى الغرب يحيط بهم الجرمان من كل جهة الا الشرق . وبوهيميا المسماة باللغة السلافية تشك تشتق اسمها من بوي وهو اسم لقوم قلتي الاصل كان في بعض الازمان محتلاً البلاد ثم عقبته فيها عدة قبائل جرمانية مختلفة . وبعد ذلك بزمن طويل احتلها التشك . والارجح ان ذلك الاحتلال كان مدة الغزوة السلافية الكبيرة في القرن السادس

ونبلاء التشك او الملاك فيها اقتبسوا في الحال الاساليب والعادات الجرمانية . وقد نصَّرهم القديس ميثوديوس . وتبعت الطبقة المتوسطة منهم الكنيسة الشرقية الاورثوذكسية . وبعد ذلك تبعوا الكنيسة الكاثوليكية فتغلب استعمال اللاتينية في الطقوس الكنسية على اللغة السلافية

وهكذا انتفت لغة التشك من الكنيسة وحلت اللاتينية محلها وانتفت من المجالس الاجتماعية الخصوصية والعمومية وحلت محلها اللغة الجرمانية ولم تبق منتشرة الا بين الطبقة العامة

وبعد ان أصبحت بوهيميا ولاية نمساوية أحرقت الحكومة الجديدة كل ما اتصلت اليه من كتب التشك ومخطوطاتهم وحظرت استعمال هذه اللغة في المدارس تحت طائلة العقاب . على ان التشكي واظب على التعلق بلغة أبويه بالرغم من هذا القانون العاتي وأصبحت اللغة والامة أمرين مترادفين يعبر عنهما بلفظ واحد وهو « چازيك » Jazyk . واللغة أبقت الامة حية وأنقذتها من الاندماج بغيرها . ولم تقتصر على هذه المزية فقط بل ملأت خزائنها بكنوز من الشعر القديم الذي لا يوجد في غيرها من اللغات السلافية

ان طبيعة التشك السلافية تشبه شبهاً عجيباً اخواهم البولانديين فكل من الشعبين قوي متين وطني غيور . وفي كل منهما كانت الملكية متداعية . وكان فوق الملك والشعب طبقة الاعيان الاغنياء الدائمة الاضطراب والتي كانت مسألة الوطنية عندها ثانوية بالنسبة الى المصلحة الشخصية او فائدة الطبقة نفسها . على أن عامة التشك الوضعاء كانوا ذوي روح استقلالية أقوى من روح اعيانهم حتى كانوا أحياناً يضطرون أعيانهم ان يتبعوهم بدل ان يقودوهم

وقد نبغ بين التشك الكاتب الروائي جون هس والزعيم الشهير زيذكا وأحد أعاظم أساتذة التاريخ كومينيوس مؤلف « العالم المنظور » وهو أول كتاب مصور للاحداث . واشتهرت هذه الامة أيضاً بجامعتها المعروفة بجامعة براغ وهي التي نالت شهرة عظيمة في أوربا الوسطى

على ان مملكة التشك لم تلبث ان سقطت على اثر معركة الجبل الابيض سنة ١٦٢٠ ومن ذلك الحين لم يبق منها الا اسمها بين القاب الامبراطور النمساوي

وقد مس تاريخ بوهيميا الملكي انكلترا مرتين فمن الملك البوهيمي فرديننـد تسلسل جورج الاول أول الملوك الانكليز من بيت هنوفر . ثم ان الخوذة التي يلبسها البرنس أوف ويلس ولي العهد كان يلبسها الملوك البوهيميون . وذلك انه بعد الانتصار العظيم في معركة كرسي سنة ١٣٤٦ وجد الامير ادورد الملقبْ بالبرنس الاسود قرب جثة الملك جون البوهيمي هذه الخوذة فأخذها ومن ذلك الحين أصبحت ارثاً لولي العهد الانكليزي

في مملكة بوهيميا القديمة ٧ ملايين من السكان نحو اربعة أخماسهم من التشك والباقون معظمهم جرمان . وكثيرون من التشك يسكنون في سيليزيا النمساوية والبروسية بين المورافيين والسلوفاك . ومنهم كثيرون في الولايات المتحدة الاميركية

ان جهاد التشك والسلوفاك الاخير في سيبيريا وروسيا وفرنسا وايطاليا نال اعجاب العالم ولم يكن عاملاً صغيراً في الحصول على اعتراف الحلفاء باستقلال مملكة التشك والسلوفاك

٢ ـ المورافيون

المورافيون متجمعون حول نهر مورافا وهم يشغلون السهل المرتفع جنوبي التشك والسلوفاك ويشابهونهم كثيراً . وقد نصَّرهم القديس ميثوديوس . وفي القرن التاسع كانت مملكتهم قد بلغت الى نهري الاودر والدراف ولكن المجر ابتلعتها

وقد ألف تلامذة جون هس « جمعية الاخوة المورافيين » وكانوا قوة دينية خطيرة الشأن في بوهيميا وبولاندا . وكاد هؤلاء « الاخوة » يفنون في حرب الثلاثين سنة لولا ان من بقوا منهم لاذوا بسكسونيا . على انهم اضطهدوا هناك أيضاً فهاجر كثيرون منهم الى ولاية جورجيا في أميركا . واتصل بهم جون وسلي فأثروا عليه بسلوكهم فتنصر هو وأخوه تشارلس . وأصبح هذان الاثنان خير الرسل لتنصير الوثنيين . وقد اضمحل « الاخوة » في مورافيا تقريباً

كل المورافيين وعددهم ١٧٠٠٠٠٠ كاثوليك ما عدا ٤ بالمئة منهم . وهم شعب مجتهد نشيط ذكي مستنير محب للحرية . ولم يكن ليقر له قرار تحت الحكم النمساوي الظالم

٣ ـ السلوفاك

يوجد السلوفاك بالاكثر في ولايات هنغاريا الجنوبية . ففي الشرق هم ممتزجون بالروثينيين وفي الغرب بالتشك . وهم شعب قديم مسالم . ليس لهم كنيسة وطنية ولم ينالوا استقلالاً حتى سنة ١٩١٨ . وقد توارثوا تقاليد قليلة ولكنهم توارثوا أغاني عديدة . وجميع اعيانهم مجريون

وكان التجار السلوفاك والطبقة الوسطى من هذا الشعب حتى العهد الاخير يودون ان يعدوا جرمانيين . ولكن عامة الشعب كانوا يقاومون فكرة السيادة الاجنبية . وبالرغم من التباين الكثير بينهم في اساليب كلامهم فهم يحبون لغتهم التي هي الرابط الوحيد لوحدتهم . أما المجريون فيعاملونهم باحتقار . وقد هاجر منهم كثيرون الى اميركا . وعددهم كلهم مليونان ونصف

في مدة الخمسين سنة الاخيرة حدثت عندهم نهضة عظيمة في التعليم والشعور ومن ثم لم يعودوا يرضون عن السيطرة الاجنبية بل اوجدوا لانفسهم ذاتية وطنية

الروثينيون

معنى هذه اللفظة روسيون وقد اطلقها النمساويون على رعاياهم من الروس الصغار وعددهم يربو على ٣ ملايين ونصف مليون في ولايتي غاليسيا وبوكوڤينا اللتين اقتطعتهما النمسا من بولاندا . ويختلفون بعض الاختلاف عن الروسيين الصغار الذين في روسيا . وهم نحو نصف سكان غاليسيا حيث الاعيان بولنديون والطبقة الوسطى جرمان ويهود

ومع أنهم كاثوليك فانهم يتبعون الطقس الكنسي السلافي حسب الطريقة الارثوذكسية الشرقية . وقد كانوا هادئين تحت الحكم النمساوي وعلى العموم قلما اظهروا عطفاً للتشك والسلوفاك او البولانديين . وهم بطبيعة الحال يؤاخون اخوانهم الاقربين الاوكرانيين او الروس الصغار . وهم معروفون في الولايات المتحدة بالذكاء والفنون الصناعية

المجريون

المجريون هم العنصر المتسيد في هنغاريا ومؤسسو المملكة الهنغارية الحقيقيون . وهم في الاصل من الفينو اوغريان Finno-Ugrian وقد ظهروا في اوربا في القرن التاسع كقوم متشردين وسحقوا المملكة المولدافية وامتلكوا الصقع الذي يحتلونه الآن . وكانوا يزحفون من مركزهم هذا الى جميع انحاء اوربا وينزونها حتى اصبحوا رعباً لها مدة ستين سنة واخيراً انكسروا شر كسرة في اوغسبورغ امام الامبراطور الجرماني اوتو الاول وظهرت لهم عزلتهم بين عدد عديد من الاعداء المختلفي العناصر الذين هم ارقى مدنية منهم واقوى بطشاً

والظاهر ان بعض الاعتبارات السياسية قضت على زعمائهم ان يعتنقوا النصرانية وينتظموا في سلك الكنيسة الكاثوليكية . ثم ظهر فيهم بعض الملوك العقلاء فبسطوا ظل الامن في البلاد وجلبوا اليها مهاجرين كثيرين وجعلوا لهم في كثير من الاحوال امتيازات خاصة

والمجريون يعتبرون « القانون الذهبي » Golden Bull الذي منحه ستيفن الثاني بعد سبع سنين من صدور « اللائحة العظمى » Magna Charta (الانكليزية) اقدم الحقوق الدستورية في قارة اوروبا . وهذا القانون يمنح البارونات امتيازات عديدة وخطيرة الشأن . وكان لهؤلاء البارونات غنى طائل وقوة وسؤدد حتى تحت سيطرة اقوى الملوك ولذلك دفعوا البلاد الى فوضى لا مثيل لها واستعبدوا عامة الشعب

ولم تحسن احوالهم العمومية بسبب المشاغبات الشديدة التي دفع « الاصلاح »[1] المجريين اليها وكان البروتستانت حينئذٍ متفوقين بينهم . واتفق في ذلك الزمان ان اميرة مجرية تزوجت ارشدوق نمساوي فارتقى الى العرش المجري آل هبسبورج وما لبث المجريون ان رأوا انفسهم يعاملون كسائر الرعايا النمساويين

ولما صعب على اولئك القوم الذين تعودوا الامتيازات الخضوع للحكم الجديد ثاروا بزعامة زعيمهم لويس كوسوث . ولكنهم غلبوا على امرهم ولجأ زعماؤهم الى تركيا . واتحدت روسيا مع النمسا في ارغام سلطان تركيا على خرق حقوق الضيافة

(١) يراد بالاصلاح هنا الحركة الاصلاحية الدينية التي قام بها لوثيروس ومن جذا حذوه بعده

وتسليم اولئك اللائذين به ولكنهما لم تنجحا. وما زال المجريون يذكرون هذه الحسنة لتركيا . وفي الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٨ زار كثيرون من مندوبي المجر الاستانة لكي يثبتوا صداقتهم لاخوانهم في الدم اي الاتراك العثمانيين

في سنة ١٩١٠ كان في هنغاريا اكثر من ١٠ ملايين مجري و ٥٣٨٠٠٠٠ سلافي مختلفي العناصر و ٢٩٤٩٠٠٠ روماني و ٢٠٣٧٠٠٠ جرماني و ٢٧٥٠٠٠ نوري Gypsies و ١٩٥٠٠٠ من عناصر مختلفة

واذا القيت نظرة الى الخريطة رأيت كيف ان العناصر المختلفة محيطة بالمجر من كل صوب . فمن الغرب الجرمان فضلاً عن اقوام كثيرة تقطن بين المجريين انفسهم في اماكن مختلفة . ومن الشمال التشك والسلوفاك . ومن الشرق الرومانيون . ومن الجنوب اليوغوسلاف . فهؤلاء كالمغناطيس وكل عنصر منهم يجتذب عنصره من بين المجريين ومن تحت الحكم المجري

زد على ذلك ان نبلاء المجريين ملاك اراضٍ وقد تناقصت ثرواتهم . واما الجرمان واليهود فهم اصحاب الاعمال واعمالهم مستغرقة طبقات العمال فالتجارة في ايديهم والصحافة في ايدي اليهود على الخصوص

البولانديون

البولانديون يعدون بعد الروسيين (الذين كانوا على الدوام اعداءهم وخصومهم) اهم العناصر السلافية ولا سيما في العدد . وقد ظهروا في بولاندا في اول الامر في القرن الثاني عشر حيث وجدوا بعض القبائل السلافية الاخرى . وكان من حكمة ملوكهم انهم حملوهم على التنصر

البولنديون متوسطو الاجسام مستديرو الرؤوس ممتلئو الوجوه جيدو الصحة واللون الاشقر فيهم اغلب على الاسمر . ويظهر ان ملامحهم تغيرت بعض التغير . والطبقات العاملة تبلغ نحو تسعة أعشار الامة وهم نشيطون مجتهدون صبورون معتدلون غيورون للوطن . ونبلاؤهم شجعان الى حد التهور متحمسون فخورون فنيون

ان بولندا في اول عهد تكونها كانت مندمجة مع دولة الليتوانيين . واتحاد

البولنديين مع التوانيين ضاعف عدد السكان ومصادر الرزق ايضاً وكلا الشعبين سحقا الفرسان التيوتونيين في تننبرج سنة ١٤١٠ ثم دفعوهم الى شرقي نهر فستولا بعد صلح ثورن . واستردوا الاراضي البولندية الواقعة على البلطيك واستردوا ايضاً دنزيغ ومارنبورج . ثم ان دوقية مازوفيا التي كانت وارسو مركزها وكانت مستقلة

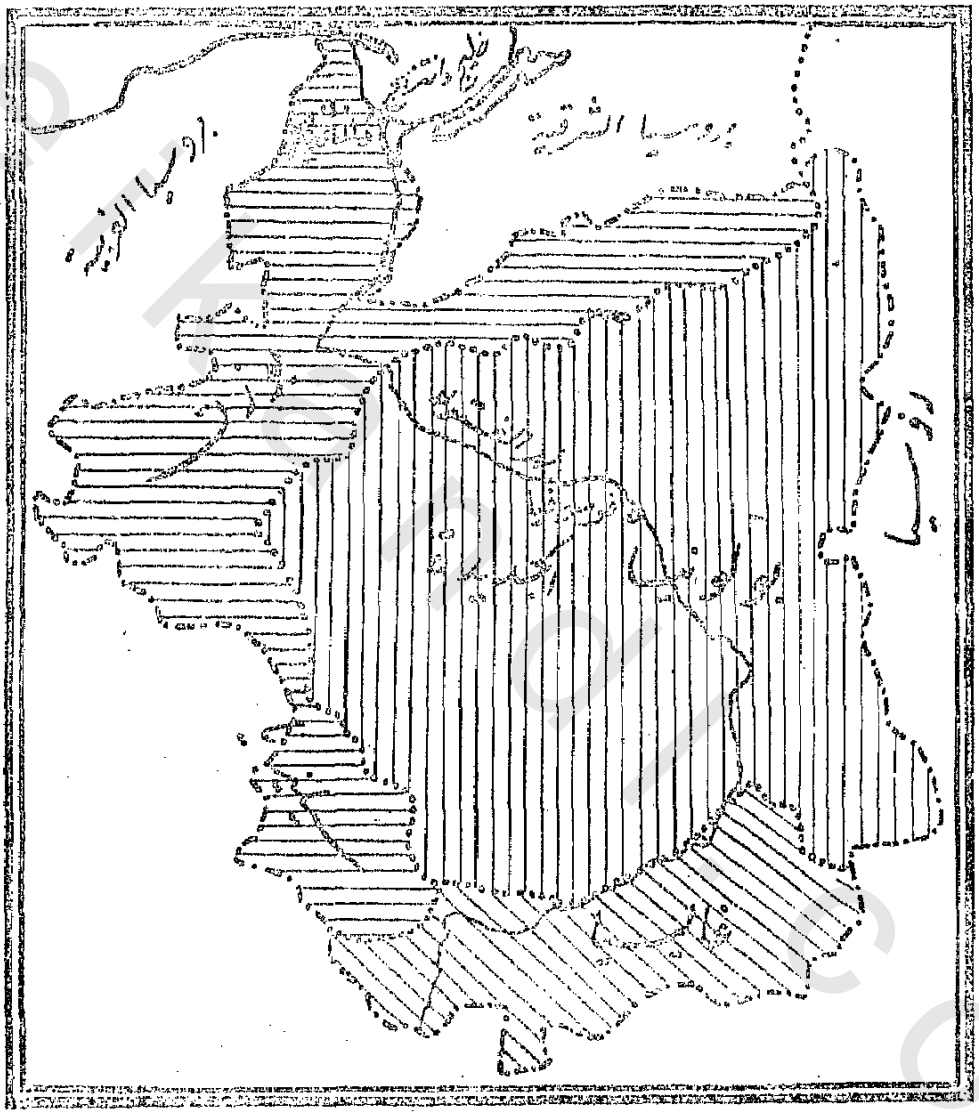

خريطة بولونيا

الخطوط العمودية تشير الى القسم الروسي الاصل والافقية الى القسم الالماني والمائلة الى القسم النمساوي

مدة خمسة قرون اتحدت مع بولندا واصبحت هذه بعد بضع سنين ممتدة من البلطيك الى البحر الاسود . ولما كان الاصلاح قد نشأ من اصل جرماني نظر البولنديون اليه نظرة الريبة والشبهة

وموقع هذه المملكة وخواص شعبها الفائقة وارتقاؤها كل ذلك قرّر لها عظمتها وتفوقها

وكان التباين بين طبقتي النبلاء والعامة يتزايد ويتسع فان العامة كانوا يدفعون الضرائب كلها والنبلاء كانوا يملكون الثروة وفي يدهم القوة

أما نظام الحكومة فكان اوليغارشياً بكل معنى الكلمة اي ان السلطة كانت في يد عدد معدود من الاعيان والبلوغ الى عرش الحكم بطريقة الاقتراع ولا فرق بين ان يكون المرشح وطنياً او اجنبياً . على ان ذلك العرش كان بلا نفوذ ولا قوة . وما من انتخاب سلم من معرّة الرشوة فضلاً عن الشغب . وفي انتخابين عرض العرش في « سوق الدلالة » للمزايدة . وقد تقرّر نظام التصويت الحر سنة ١٦٥٢ وبموجبه كان يكفي صوت سلبي واحد في المجلس التشريعي لالغاء اي قانون اجمع عليه الآخرون . وبسبب ذلك تفاقمت الفوضى حتى كادت تودي بسلامة بولاندا

وقد بلغ من جهالة هؤلاء الاعيان الذين في ايديهم زمام البلاد انهم ارتكبوا اثماً لا يغتفر وهو تجزئة البلاد في سني ١٧٧٣ و١٧٩٣ و١٧٩٥ واعطاء اجزاء منها الى كل من بروسيا وروسيا والنمسا . والانكى ان التجزئة الاولى وافق عليها وايدها المجلس التشريعي البولاندي الذي ارتشى كل اعضائه تقريباً

على ان مقاومة كوسيوسكو وبعض النبلاء وعامة الشعب الساخط المتهيج — تلك المقاومة الشديدة التي جاءت متأخرة — جعلت سقوط المملكة مجيداً

وبسبب تلك التجزئة نالت روسيا ١٨١٠٠٠ ميل مربع من البلاد سكانها ٦ ملايين نسمة . ونالت النمسا ٤٥٠٠٠ ميل مربع ومليونين ونصف مليون من السكان . ونالت بروسيا ٥٧٠٠٠ ميل مربع ومليونين ونصف مليون من السكان

والبولانديون الذين انضموا الى النمسا عوملوا معاملة حسنة ولا سيما لانهم كاثوليك فلم يكن بينهم وبين أهالي البلاد تنافر في المبدإ الديني . وأما الذين انضموا الى روسيا فقد احتملوا أشد الضغط والاضطهاد . وأما الذين انضموا الى بروسيا فكانوا أشد اخوانهم معاناة ومقاساة تحت النير الجرماني . لان بروسيا بذلت جهدها في جعلهم جرمانيين وما وقفت عند حد في قساوتها

مع كل ذلك جادت بولاندا على العالم بنفائس الموسيقى والفنون والآداب .

فكوبرنيكوس الفلكي العظيم بولندي . وسينكيفكز الذي قتل في الحرب وعدّه الكثيرون من فطاحل الكتاب كان بولندياً . وكذلك بدرسكي الموسيقي

ولما كانت بولاندا بين حجري رحى روسيا من جهة والمانيا من جهة أخرى ومن احد جانبيها الجيش النمساوي فقد قاست في مدة الحرب العظمى عناء يفوق حد التصور — قتل وسلب ونهب واحراق وتدمير

اليهود

ترى على قوس طيطس في رومة رسم جنود مكللة باكليل الغار وحاملة شمعداناً ذا سبعة فروع . فهذا الرسم يمثل الشمعدان الذهبي الذي أنار في أحد الازمان المكان المقدس في هيكل اورشليم والذي نقله معه طيطس بعد انتصاره على اليهود سنة ٧٠

وكان اليهود قد تفرقوا الى كل مدينة من مدن الامبراطورية الرومانية ولكنهم لم يهاجروا مهاجرة عمومية . فلما انتزع منهم مركزهم الديني شرعوا يهاجرون افواجاً الى اقاصي العالم

وبعد فتح طيطس بستين سنة حرثت ارض اورشليم كما تحرث الارض الزراعية ومنع اليهود من ان يدوسوا ارضها منعاً باتاً تحت طائلة العقاب الشديد بل حظر عليهم ذكر اسم تلك المدينة المقدسة . وجعل مكانها مستعمرة للرومان . وقد هلك عهدئذ مئات الالوف في الحرب والمذابح والمجاعة . واصبح ذلك الشعب القديم وليس له عاصمة ولا وطن ولا هيكل فتشتت بقاياه في كل انحاء المعمور

وقد عدّت رومة حينئذ اليهود عنصراً متمرداً يجب سحقه . فلما سحقته واصبح بلا حول ولا قوة اذنت لافراده ان يعيشوا ويعملوا . وفي الوقت نفسه ظهر بينهم مار صموئيل وكتب للذين في المنفى او المشتتين يعظهم وينصح لهم بان يحسنوا سلوكهم وتصرفهم . وعلمهم ان شريعة الحكومة اينما كانت وكيفما كانت هي الشريعة التي تجب طاعتها . وان من واجباتهم الدينية ان يطاوعوا شريعة البلاد التي يقيمون فيها ويخضعوا لها ما استطاعوا بل عليهم ان يصلوا لاجل سلام البلد الذي يقطنونه

وبناءً على هذه النصيحة جعل اليهود يكيفون انفسهم حسب مقتضيات الوطن

الذي يستوطنونه بقدر الامكان . هذا هو سر مرونة ذلك الشعب الذي يلتوي ولا ينكسر والى هذه المرونة يعزو جرتز المؤرخ اليهودي بقاء اليهودية في البلاد الاجنبية . وهي التي مكنت اليهود من احتمال المصائب والبلايا التي لم تتعاقب على امة تعاقبها عليهم

ولا يخفى انه في عصر الجهل والهمجية كان كل يهودي في نظر النصرانية ملطخ اليد بدم المسيح . حتى انكر البعض ان المسيح وتلاميذه كانوا قبلاً يهوداً . وباسم التقوى والغيرة الدينية كان يعامل اليهودي معاملة سيئة . بل ان الشرائع كانت أظلم لهم من جماهير الشعوب . ويقال بالاجمال ان الظلم والاضطهاد والهوان كان نصيبهم من عهد قسطنطين حتى العصر الحديث ويستثنى من ذلك ازمنة وامكنة نادرة . واما القوانين الاسلامية فكانت ملطفة لهم ولهذا أمكنهم ان يقاسموا المسلمين في اسبانيا رقيهم ونجاحهم الى ان انقضى ذلك العهد

ينص التقويم اليهودي السنوي على ان عدد اليهود في اوروبا ١٠ ملايين (اكثرهم في روسيا) وفي الولايات المتحدة ٣ ملايين ومليون في سائر انحاء العالم

واما وفرة عددهم في روسيا فيرجع الى عهد كازيمير الكبير الملك البولاندي . وذلك لان استير اليهودية حبيبة كازيمير استعطفت الملك على شعبها الذي احبته فمنح هذا الملك بولندا موطناً لليهود . فما اليهود ولا سيما في القسم البولاندي الذي امتلكته روسيا

والظاهر ان الاحن التي تعاقبت على اليهود شددت تعصبهم لجنسيتهم وقوت فيهم روح الرقي . فما من نبوغ سياسي او مالي او علمي او شعري او فني او ادبي الا كان لبني اسرائيل وبناته القدح المعلى فيه

النمسا او المجر

وجد هؤلاء القوم اولاً في بلاد اليونان والجزر اليونانية في القرن الرابع عشر وما من خبر اكيد عن اصلهم وكيفية وصولهم الى هذه البلاد . وبعد ذلك جعلوا يطوفون في شبه جزيرة البلقان من غير ان يستقروا في مكان

وفي سنة ١٤١٧ ظهروا في غربي اوربا وفي ايديهم جواز مرور لقبوا باسم « تسيغاني » موقع بامضاء سيجيسموند ملك هنغاريا يؤذن فيه لهم ان يذ

في املاكه حيثما شاؤوا ويأمر رعاياه ان يلاطفوهم ويمنعهم ان يتداخلوا بشؤونهم . وبعد زمن غير طويل كانت زمرٌ منهم تطوف في ايطاليا وفرنسا والجزر البريطانية

وقد ظن الانكليز انهم مصريون في الاصل فسموهم Gypsies وسماهم الافرنسيون بوهيميين لظنهم انهم قادمون من بوهيميا . واما هم فسموا انفسهم روم Rom ويظن ان معناها « رجل » ومن جملة اسمائهم العديدة هاجارين Hagarenes (ولعلها لفظة « غجر » نفسها) ومعناها اولاد هاجر

وقد سنت بعض الشرائع لايقاف تشردهم عند حد او لمنعه . ولذلك سكن بعضهم في بيوت ولكنهم ما زالوا يتجولون . ولما كانوا يوجدون في كل جهة تقريباً تعذر احصاؤهم . والارجح انه لا يوجد منهم في اوربا اكثر من ٧٠٠٠٠٠ ثلاثة ارباعهم في هنغاريا ورومانيا والبلقان حيث يتمتعون بحقوق الشعب المدنية تماماً . ولما لم يكن لهم وطن ولا تقاليد ولا ديانة خاصة بهم تراهم ينتمون الى اقرب الاوطان والاديان لهم

النوَر هيف القامات سود الشعور وهي حريرية الملمس وعيونهم كبيرة سوداء برَّاقة واسنانهم منظمة وملامحهم وضاءة ولنسائهم شيء من الجمال . ولهم شأن معروف في الرقص والموسيقى حتى ان ليسزت Liszt الموسيقي الشهير يعزو اليهم أصل الموسيقى الهنغارية الوطنية . وكثير من الاغاني العامية الرومانية والسربية والبلغارية مقتبسة من الالحان النورية

واهم ما يهم القارئ من النوَر لغتهم الغريبة . ففي آخر القرن الثامن عشر بحث ثلاثة من علماء اللغات في اصل هذه اللغة من غير علم واحد بالآخر فوجد كل منهم انها من الطائفة الاوربية الهندية ولا يتكلم بها احد غيرهم وليس لها مخطوطات ولا كتب البتة . وبالرغم مما طرأ عليها من الفساد لم تزل حافظة لاصلها

الجرمان ـ الالمان

الجرمان الاصليون قطنوا البلاد الجرمانية التي يقطنونها الآن من قبل التاريخ المسيحي . ومع انهم استغرقوا في أنفسهم كثيراً من العناصر السلافية فلا يزالون أقل امتزاجاً بالعناصر الاجنبية من الطليان والافرنسيس

يبلغ سكان الامبراطورية الجرمانية بحسب الاحصاء الاخير ٦٤ ٩٢٦ ٠٠٠ من جملتهم ١ ٨٧٠ ٠٠٠ في الالزاس واللورين و١ ٢٦٠ ٠٠٠ غرباء و٣ ٥٠٠ ٠٠٠ سلاف ومعظمهم بولانديون . فاذا طرحنا كل هؤلاء من المجموع بقي ٥٨ ٠٠٠ ٠٠٠ جرماني في الامبراطورية . ويجاورهم في النمسا نحو ١٠ ملايين جرماني وفي لكسمبرج وليختنشتين نحو ٣٠٠ ٠٠٠ فيكون مجموع الجرمان في وسط أوربا نحو ٧٠ مليوناً

والفرق بين الجرمان الواطئين أي سكان الاراضي الواطئة والجرمان المرتفعين أي سكان الاراضي المرتفعة الى الجنوب انما هو في اللغة وأساليب التعبير فقط

والتزاوج المحلي عند الجرمان اكثر منه عند سائر أمم أوربا أي ان الذين يتزوجون من خارج بلادهم أو مدنهم قليلون . ولذلك نمت فيهم أخلاق وغرائز خاصة كالرضى بالنفس وحب التفوق على سائر الامم وعدم الاهلية للاستعمار . ومع انهم أحسنوا الاستعمار تحت رايات غيرهم فتحت رايتهم فشلوا فيه وخابوا

وبالرغم من بذل حكومتهم جهدها في حملهم على المهاجرة الى المستعمرات الجرمانية كانوا يمتنعون عن المهاجرة الا كموظفين أو جنود . ففي سنة ١٩١٤ لم يكن في الاملاك الجرمانية التي تربو مساحتها على مليون ميل مربع اكثر من ٢٥ الف من البيض جرماناً وغير جرمان . زد على ذلك ان معاملة الجرمان للاهالي الوطنيين كانت قاسية وعاتية وغير منطبقة على مبادىء الانسانية

ومع ذلك قد هاجر منهم كثيرون الى جميع انحاء المعمور . ففي الولايات المتحدة اكثر من مليونين ونصف مليون جرماني مولود في المانيا ومعظمهم متجنسون بالجنسية الاميركية وموالون لها واكثر من مليونين في هنغاريا ومليون ونصف في روسيا وفي جنوبي اميركا نحو نصف مليون

في سنة ١٩١٤ كانت البيوت المالكة في معظم ممالك اوربا جرمانية أو من أصل جرماني وهي : النمسا والمجر وبلجيكا وبلغاريا ودنمرك والامبراطورية الجرمانية وكل مملكة من ممالكها الخمسة والعشرين (ما عدا اسرتي مكلنبورج السلافيتين) وبريطانيا العظمى واليونان وهولاندا وليختنشتين ولكسمبورج ونروج ورومانيا وروسيا وأسوج . والبيت الملكي في بريطانيا العظمى مع كونه « تدكاز » من عهد طويل ما زال يلقب بلقبه الجرماني القديم وهو « بيت سكسبورج وجوثا » الى ان أبدل

سنة ١٩١٧ بلقب « بيت ويندسور»

بقيت لفظة جرمان حتى سنة ١٨٧١ عبارة جغرافية او سلالية لا شعبية . فلم يكن ثمت أمة جرمانية حقيقية . بل كان يوجد عدد عديد من الجماعات (اوالوحدات) السياسية من ممالك ودوقيات ومدن حرة بعضها متحد مع بعض اتحاداً غير وثيق وبعضها غير متحد وبعضها كان ضد بعض في الحروب الاوربية المختلفة . وقد تناقص عدد هذه الوحدات الى ان أصبح أخيراً ٢٥ وحدة (مملكة) وفي الحرب السبعينية انضمت هذه الممالك لاول مرّة وغلبت فرنسا

وقد اعلنت الامبراطورية الجرمانيـة في ١٨ يناير سنة ١٨٧١ في قصر لويس الرابع عشر في فارسايل (فرنسا) وبذلك تم الاتحـاد الجرماني . وفي ١٦ ابريل منحت ملوك الممالك الجرمانية الخمسة الكبرى تلك الامبراطورية دستوراً لم يكن للشعب رأي في سنّه . وقد جعل هذا الدستور لبروسيا وملـكها الهوهنزولرني السيادة على سائر الممالك والملوك الجرمان

واهم الاقوام الجرمانية : البروسيون والبافاريون والسكسونيون

وقد كانت المدن الثلاث الحرة : لوبك وهمبرغ وبريمن اهم العوامل في انتشار النفوذ الجرماني في العصور الوسطى . فقد ضمت هذه المدن الى نفسها تسعين مدينة من المدن التجارية بين الرين ونوفغورود بغية التعاون في حماية انفسها . وقد سمي هذا الاتحاد « الاتحاد الهنسياتي » او « اتحاد النقابات » League of Guilds وبقي اكثر من ٤٠٠ سنة منذ سنة ١٢٤١ يحمي حقوق التجارة والصناعة فكان ذا شأن خطير في شمالي اوربا . وفي اوقات السلم كانت مصالح ومنافع لوبك وهمبرغ وبريمن عظيمة جداً . واهاليها ديمقراطيون في شعورهم وفخورون بتقاليد الحـكم الذاتي

١ — السكسونيون

السكسونيون تيوتونيون بقليل من المزيج السلافي . وهم يقطنون اخصب بقعة في البلاد الجرمانية . وكانوا قبلاً مشهورين في روحهم الاستقلالية . وقد حاربوا شارلمان بعناد مدة ٣٣ سنة . واخيراً قهرهم شارلمان ونصّرهم . وفي القرن التاسع عشر تقدموا شوطاً بعيداً في الحرية الدستورية الى ان احتل البروسيون بلادهم سنة

١٨٦٦ . وهم يعدون في صف الشعوب الراقية في اوربا . وعاصمتهم درسدن هي مركز الفنون والصناعة . اكثر من ٩٥ بالمئة منهم بروتستانت

٢ — الباڤاريون

الباڤاريون اكثر الشعوب الجرمانية مزجاً اي انهم مزيج من السلاف « المجرمنين » والقلتيين الذين استوطنوا البلاد قديماً ومن قومي المركومـاني والكوادي التيوتونيين — فهم من سلالة هؤلاء الاقوام جميعاً . والقومان الاخيران قدما الى البلاد من الشرق . وكانوا يسمون باڤاري Baivarii

وهم يسكنون في ارض واسعة هلالية الشكل تشبه « الامفيتياتر » طولها ٢٢٠ ميلاً وعرضها ١١٠ اميال تحيط بها جبال مرتفعة . وما من بلاد في جرمانيا محددة بحدود طبيعية كحدودها . ولهذا اختص الباڤاريون بخواص ليست لغيرهم . فمن الوجهة الطبيعية هم سمر دقاق الهياكل العظمية واقل صلابة من سائر اخوانهم الجرمان . وهم محافظون متدينون ليّنو العريكة

والشعب وملوكه يعنون بالموسيقى والروايات التمثيلية . وعاصمتهم مونيخ هي دار الفنون

وكان الباڤاريون دائما اعداء البروسيين . وما خضعوا للسيطرة البروسية سنة ١٨٦٦ الا بالرغم منهم . والخلاف الديني بين الفريقين وسع شقة العداء بينهما فان معظم الباڤاريين كاثوليك (وعددهم نحو ٦ ملايين)

٣ — البروسيون

اسم البروسيين مشتق من بوروسي Borossi اسم الشعب الذي تسلسلوا منه . وهو شعب شرس كبير العظم قريب اللثوانيين واللتيين كان في الجيل العاشر يقطن في الاراضي الواطئة بين أنهر الاوردر وفستولا ونيمن . ولما أوشك هؤلاء القوم أن يفنوا امام الفرسان التيوتونيين طلبت البقية الباقية منهم توسط بولاندا فضمت هذه اليها من كان منهم غربي الفستولا . وفي سنة ١٥٢٥ أعلن البرت الهوهنزولرني زعيم الفرسان الاكبر اعتناقه البروتستنتية وقدم املاكه لملك بولاندا .وهذا جعل بروسيا دوقية وعينه غرندوقاً لها . وفي أول القرن الثامن عشر اشترى أحد أحفاده

الابمدين فريدريك لقب ملك من الامبراطور بثمن غالٍ وتوّج نفسه ملكاً لبروسيا في كونيجسبورج مسقط رأسه باحتفال عظيم في ١٨ يناير سنة ١٧٠١

ومع ان البروسيين « تجرمنوا » تماماً فانهم يختلفون عن الجرمان الآخرين وهؤلاء لا يحبونهم ولا يثقون بهم . يقول تريتشك Treitschke « ان بروسيا كانت منذ نشوئها مكرهة الجرمانيين الآخرين » وجوث Goethe كتب « ان البروسيين كانوا دائماً همجاً وقساة والتمدن يجعلهم شرسين » . وقد اظهر البروسيون دائماً سجايا واخلاقاً غريبة يرجح انهم ورثوها من اسلافهم الفرسان العتاة قوم بوروسي الشرسين

ولما تبوأ فريدريك العرش البروسي كانت سعة مملكته ٤٠ الف ميل مربع وكان عدد سكانها مليوناً ونصفاً . ومنذ سنة كانت مساحة بروسيا ١٤٠ الف ميل مربع وعدد سكانها ٤٠ مليوناً

٤ — القبائل السلافية في جرمانيا

ان القبائل السلافية التي انتشرت سابقاً في كل جرمانيا حتى بلغت الى الالب اندغمت اندغاماً تاماً في الشعب الجرماني . وقبائل البولاب التي كانت في تلك الازمان عديدة كانت آخر من اندغم وتلاشى في الجرمانية . والناحية التي في غربي هنوفر حيث كانت لغتهم لا تزال منتشرة حتى القرن السابع عشر تدعى وند Wend الى اليوم

وفي لوساتيا Lusatia (الاسم مشتق من لوسيتزي Lusitzi اسم لقبيلة سلافية) التي تخص الآن سكسونيا وبروسيا يوجد نحو ١٧٠٠٠ الف وندي او سوربي (Sorbs). وفي احرج الاوقات بقي هؤلاء القوم مصرين على استعمال لغتهم وممارسة عاداتهم في وسط الشعب الجرماني الذي يبلغ ثمانية اضعافهم عدداً . ومع ان العالم نسي ذكرهم وأصبح أمرهم غفلاً لا يهم تجرمنوا رويداً رويداً نهضوا نهضة جنسية حية داهشة في اوائل القرن التاسع عشر . وقد عوملوا في بروسيا اسوأ معاملة ولكنهم نجحوا في سكسونيا حيث تعد عاصمتهم بوتزن من ارقى المدن ولغتهم متوسطة بين البولندية والتشكية

السكنديناڤيون

السكنديناڤيون ـ وهم الدانيون (الدانمركيون) والنروجيون والاسوجيون ـ من الشعوب التيوتونية وهم متقاربون في السلالة والتاريخ بحيث يتعذر البحث في أحوال كل منهم على حدة . وكلمة سكنديناڤي مجهولة الاصل والمعنى وانما استعملت منذ زمن طويل لهؤلاء الشعوب جميعاً

وقد كانت شبه الجزيرة السكنديناڤية موطناً لشعوب مختلفة اكتسحت أوربا . فمن أسوج جاء قوم القوت Goths الى جرمانيا وروسيا الجنوبية ومن هناك الى ايطاليا واسبانيا وتركوا اسمهم في كل مكان . من نروج التي ازدحمت بالسكان انتشرت امواج المهاجرة الى سهول الرين والالب حتى لقد استوطنوا الاوڤيانوس فانتشروا فيه قرصاناً يغزون البلاد وينهبون ويحرقون ويخطفون البشر . وبقوا نحو قرنين لعنة جزر بريطانيا وفرنسا . ثم جعلوا يستقرون في البلاد التي كانوا يغزونها وصاروا هم انفسهم يقاومون القرصان الذين جاؤوا بعدهم

وقد ورث النروجيون من اسلافهم الشجاعة والاقدام في سلك البحار اللهم من غير بربرية القرصنة وفظائعها . وفي سنة ١٩١٣ كان لهم في البحر من السفن اكثر من جميع أمم العالم ما عدا انكلترا وأميركا والمانيا . وقد هاجر منهم كثيرون الى أميركا حيث هم على الرحب والسعة

وفي سنة ١٨٦٤ اخذت بروسيا ولايتي شلسويج وهولشتين من الدانمرك . فامتلكت اكثر من سبعة آلاف ميل مربع ومليون ونصف نفس

وكان في مملكة دانمرك سنة ١٩١٨ نحو ٣ ملايين من السكان . ودانمرك تملك أيضاً جرينلاند وايسلاند . وفي سنة ١٩١٠ كان عدد سكان نروج ٢٤٠٠٠٠٠ وفي سنة ١٩١٦ كان سكان أسوج ٥٧٥٨٠٠٠

ومعظم السكنديناڤيين شقر الشعور زرق العيون صبوحو الوجوه طوال الرؤوس . وعلى العموم النروجيون والدانيون او الدانمركيون ديموقراطيون والاسوجيون أقل ديموقراطية من القومين

وقد توطدت النصرانية في هذه الامم الثلاث منذ القرن السابع بالرغم من

مقاومة الاهالي . وكلهم بروتستانت

وكان للسكندينافيين القدماء جميعاً لغة واحدة تعرف بلغة الدونش ويسميها النروجيون نورسك . وقد اتى بها النروجيون الذين احتلوا ايسلاند في القرن العاشر . وبعد ٤ قرون أدخلت الملكة مرغريت اللغة الدانمركية او الدانية (Danish) الى نروج . والآن لم يعد يستعمل لغة نورسك او نورس الا الفلاحون . وأما في ايسلاند فاللغة القديمة عاشت الى اليوم بحتة كما كانت

واللغة الدانمركية اذا لفظت بلهجة نروجية شديدة يفهمها الاسوجي . كذلك اللغة الاسوجية يفهمها الدانمركيون ولكن بصعوبة

ثور والدسون صانع التماثيل النابغة المشهور ، وهانس كرستيان اندرسون مؤلف القصص الخرافية المشهورة كانا دانمركيين . وأولي تل الموسيقي الكمنجاتي ، ونانسن الجوّابة المستكشف ، واموندسن مكتشف القطب الجنوبي نروجيون . وفريدريكا برمر المؤلفة ، وجني لند بلبل اسوج ، ولينوس ابو علم النبات اسوجيون

ومع ان هذه الامم الثلاث كانت تحت حكم ملك واحد كانت احياناً تحارب بعضها بعضاً . واما نروج فعلى العموم من حزب دنمرك . والآن الثلاثة على غير وئام

الدنش او الهولانديون

كان هذا الاسم « دنش » يطلق سابقاً على كل الجرمانيين وانما الآن يستعمل (باللغة الانكليزية) لشعب هولاندا ولغته فقط

بلاد الدنش اوطأ من البحر وقد صدوا امواجه عنها بسدود بنوها على شواطئهم . وفي القرن السادس عشر قهروا فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو في ابان صولته . وفي القرن السابع عشر صدوا مطامح لويس الرابع عشر ونازعوا انكلترا السيادة على البحار . فهذه الفعال العظيمة على قلة عدد هؤلاء القوم استلفتت انظار اوربا وحسب الاوربيون للدنش حساباً

وهم اول شعب فتح صدر بلاده للفارين او المطرودين من البلاد الاخرى عقاباً لحرية ضمائرهم وافكارهم . فكان هؤلاء المطرودون او الفارون يلجأون الى امستردام وروتردام كما صاروا يلجأون الآن الى لندن وجنيف وغيرهما . واجداد

الامريكان الذين هاجروا الى اميركا اولاً فروا من وجه الاضطهاد في بلادهم ولجأوا الى نذرلند (وكانت تضم هولاندا وبلجيكا) حيث قضوا ١٢ سنة قبل ان ركبوا السفينة « ماي فلور » الى العالم الجديد

والحرب الطويلة التي احتدمت بينهم وبين فيليب الثاني الاسباني قوت اخلاق هذا الشعب وسجاياه . ولما كانت الجهات الشمالية زراعية واهلها بروتستانت يتكلمون اللغة الفلمنكية Flemish او الفريزيانية Frisian والجهات الجنوبية صناعية واهلها كاثوليك ومعظمهم يتكلمون الفرنساوية — فهذا التباين افضى الى انفصال تلك الجهات بعضها عن بعض . فالشمالية منها اصبحت ولايات هولاندا والجنوبية بقيت تحت حكم اسبانيا او اوستريا حتى شبت الثورة الفرنساوية . وبعد سقوط نابليون ضمت هولاندا وبلجيكا معاً ولكن هذه لم تلبث ان انفصلت واستقلت في سنة ١٨٣٠

في سنة ١٩١٦ كان الدتش نحو ٦٦٠٠٠٠٠ نفس . ولا يزال العنصر الفريزياني قوياً في الشمال مع انه اندغم بعض الاندغام في العنصر الدتشي المتغلب . وبالرغم من تدفق المهاجرين الاجانب الى البلاد لا يزال الشعب محافظاً على خواصه الجنسية ولم يتكيف الا قليلاً . وهيجو جروتيوس ابو القانون الدولي وايراسموس النابغة كانا هولنديين

ولاهل نذرلاند نصيب كبير في الاكتشاف وفي استيطان العالم الجديد . فقد بقيت ولاية نيويورك عهداً طويلاً واسمها ولاية نذرلند الجديدة . وكانت مدينة نيويورك تدعى نيو امستردام . وكان للنفوذ الدتشي شأن كبير في تكييف القوانين الاسبانية السياسية في اميركا . وكان رئيسان من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية من سلالة هولاندية

السويسريون

ان البحث في سكان سويسرا الحاليين ألذ من البحث في قضية اسلافهم الاقدمين التي لم تتحل لشدة غموضها . فهم سلالة الهلفيتيين القلتيين الذين صبغوا بالصبغة اللاتينية ، وسلالة الالماني الحربين الذين قذفوا الى جبالهم من الشمال ، وسلالة البرغنديين الذين قدموا من الغرب بعد ان طافوا في فرنسا ، وسلالة الريتيين Rhaetine في الشرق ، وسلالة الايطاليين الفارين من الجنوب

والبلاد السويسرية كانت قبل سنة ١٣٠٠ مؤلفة من ثلاث مقاطعات فاصبحت عشرة حوالي سنة ١٥٠٠ وكلها في وادي الآر والآن اصبحت ٢٢ مقاطعة . وكانت ڤالي ونيوشاتل وجنيف آخر ما أضيف الى هذه المملكة الصغيرة سنة ١٨١٨

٤٧ بالمئة من السكان بروتستانت و٤٢ بالمئة كاثوليك و٧٠ بالمئة يتكلمون الجرمانية (الالمانية) و٢٢ بالمئة يتكلمون الفرنساوية ونحو ٧ بالمئة يتكلمون الطليانية . وفي مقاطعة جريسون فقط تسمع لغة « لادين » Ladin وهي اخت الفرنساوية والطليانية . والالمانية والطليانية والفرنساوية لغات البلاد الرسمية. يبلغ عدد السكان ٣٨٨٠٠٠٠ منهم ٥٥٠٠٠٠ غرباء

ولم يكن من السهل التوفيق بين الحقوق والمصالح الشخصية والجنسية والمحلية ولهذا قضى السويسيون السبعين سنة الاخيرة في شقاق وخصام وحروب ولكنهم وصلوا اخيراً الى الغرض المجيد وهو الاتحاد التام

وولاياتهم الاثنتان والعشرون تختلف احداها عن الاخريات في كل شيء تقريباً — في الدين والسياسة والاجتماع والصناعة واللغة ولكنها كلها متحالفة في جمهورية واحدة تدبر أمور الجميع وتصون حقوق الافراد على السواء

الطليان

من عجائب التاريخ البشري الجنس الطلياني الذي مرّ عليه الفا سنة وهو يبرز الى العالم النوابغ المبرّزين من مخترعين وموسيقيين ومؤلفين الى غيرهم ممن افادوا سائر الشعوب فوائد جمة

والطليان كالاميركان مزيج من عناصر مختلفة . وما من بلاد في اوربا مثل ايطاليا امتزجت العناصر الاجنبية في اهلها حتى نشأت منها امة جديدة . وقد توالى هذا الامتزاج في رومه منذ كانت هذه المدينة لا تشغل غير رابية بالاتين الى أن اصبحت مركز امبراطورية العالم

والطليان هم من سلالة اهالي رومة الاقدمين . على انه قد اختلط بهؤلاء اقوام اخرى . وفي زمن المسيح كان كثيرون من سكان ايطاليا ارقاء وكان أولئك الارقاء

اقوى وأصح واكفأ سائر الشعوب التي أخضعها الرومان

وقد كان الفاتح الروماني كنبوخذ نصر في اورشليم يختار الرجال الاقوياء ويسترقهم ويترك وراءه الضعفاء والفقراء . وقد مرّت قرون على رومه واساتذة مدارسها ارقاء . وكلما غزا البلاد قوم من جهة الشمال كانوا يتركون فيها منهم اناساً يتوطنونها . وقد غزيت البلاد مراراً عديدة . وقد ظلت ايطاليا في القرون الوسطى تحت النفوذ الاجنبي وسيطرة الاغراب ولم يتح لها الا اخيراً الحصول على الحكم الذاتي

ومع ذلك بينما كانت ايطاليا تترنح بين الاستبداد والفوضوية فقد كوّنت اجمل اللغات الحديثة وجمعت كنزاً من الآداب والفنون لا يثمّن . ناهيك عن انها جعلت العالم مديناً لها بالاختراعات والاكتشافات الفائقة القيمة وبما حبته من المنافع للانسانية عموماً وللعالم اجمع

ان المرء ليشفق ان يقتصر على ذكر اسماء نفر قليل من نوابغ الطليان العظماء لانه يتعذر اختيار عدد معين من هؤلاء الاعلام الافذاذ والنوابغ الافراد . وما من قسم من اقسام المعارف البشرية الا احرزت ايطاليا فيه مجداً وفخراً . وما من فن الا زانته ايطاليا وزخرفته . فمن نوابغها : فرجيل ومارکوس ودنتي وطاسو وكولومبوس ورافائيل وميكلانجلو وداڤينيشي وغاليلو وكانوڤا وتوريسيلي وكالڤاني وڤولتا ومارکوني

وفي سنة ١٨٧٠ تحققت احلام ايطاليا التي تقادم تعهدها وتوالى فشلها وذلك بتوحد اجزائها مرة اخرى في التاريخ . ومن ثمّ عاشت في ظل نظام دستوري يشبه نظام انكلترا اكثر من نظام أي بلاد في أوربا

كان في ايطاليا سنة ١٩١٧ نحو ٣٧ مليون نسمة ومساحتها تربو على ١١٠٠٠٠ ميل مربع . وقد افضت الاحوال التاريخية المختلفة الى عدة فروق في اساليب الكلام ولهجة اللغة ومع ذلك فان هذه الفروق تتلاشى تدريجاً . وانقى اساليب الطليانية لغة فلورانس

سيسيليا (صقلية) وسردينيا جزيرتان تابعتان لايطاليا وهما متساويتان حجماً تقريباً كل منهما نحو ١٠٠٠٠ ميل مربع وسكان صقلية نحو ٣ ملايين نسمة

وسكان سردينيا نحو ربع هذا العدد . وجزيرة كورسيكا التي تعد الآن جزءاً من فرنسا ايطالية الاصل من القديم وهي في السلالة واللغة اشبه لايطاليا من سيسيليا وقد تعاقب على كورسيكا هذه عدد عديد من الغزوات وتولى عليها حكام مختلفون

وفي سردينيا التي لم تغز كثيراً مزيج قليل من الدم الاجنبي . والسردينيون اقصر الطليان قامات . ولهذا استنتج سرجي انهم سلالة جنس قديم من الاقزام من وسط افريقيا

وقد كانت هذه الجزر الثلاث قديماً مستعمرات اغريقية ولهذا يزعم الاغريق الآن ان البونابرتيين من اصل اغريقي وكانوا أولاً يدعون كالماريدا وهو لفظ يوناني معناه بونابرت بالطليانية

وجميع سكان هذه الجزر الآن عقلاء حازمون لطفاء مجاملون أعزّة فخورون وعندهم للشرف معنى سامٍ جداً . واجسامهم قوية على احتمال المشاق

المالطيون

قبل نشوء الاغريق والرومان كانت اللغة الفينيقية متسيدة في البحر المتوسط . ولكن ما لبثت هذه اللغة ان تلاشت لقاء اللغات الاخرى في جميع المستعمرات الفينيقية ما عدا واحدة وهي مالطا التي وان كانت الآن مستعمرة انكليزية لاتزال كما كان يدعوها ديودوروس سيكولوس الذي عاش في زمن المسيح « مستعمرة للفينيقيين »

سبع المالطيين يفهمون الايطالية التي هي لغة المحاكم وعشرهم يقدرون ان يتكلموا الانكليزية التي اخذت تزداد انتشاراً هناك . على انهم كلهم جميعاً يتكلمون اللغة المالطية التي كان يظن انها لغة عربية افسدها ما دخل عليها من الطليانية . واما الآن فلم تعد تعد عربية الاصل مطلقاً بل فينيقية . وبقاء هذه اللغة القديمة التي انقرضت من كل مكان آخر عظيم الاهمية من الوجهة التاريخية

كان سكان الجزر الثلاثة ـ مالطة وجوزو وكومينو ـ في سنة ١٩١٧ نحو ٢٢٣٠٠٠ ومع ان الاعيان نورمان او طليان او اسبانيون قلما تأثرت طبيعة الاهالي من هذا النفوذ الاجنبي . وهم متناسبو الاعضاء وضّاحو الملامح وجذابو المحاسن واكثر

اشراقاً من ايطالي الجنوب . وهم مجتهدون نشيطون متعلقون بهيلاتهم ومتمسكون بالكثلكة

وهذه الجزر صخرية قليلة الريع لا تفي بعيالة اهلها ولهذا يضطرون ان يهاجروا الى الشرق للارتزاق . وهم يدعون ان هنيبال ولد في مالطا

سلالات شبه جزيرة ايبريا

يتعذر على علم الجغرافيا ان يعلل وجود شعبين متجاورين كاسبانيا والبورتغال كل منهما مستقل عن الآخر مع كونهما متشابهين في كثير من الاعتبارات ولا وجه ظاهر يدعو الى انفصالهما . فان الطبيعة قد جعلت البقعة الواقعة بين جبال البيرينيه وجبل طارق وبين البحر المتوسط والاتلانتيك وحدة وطنية لشعب واحد . فليس في هذه البقعة فواصل تستدعي وجود هذين الشعبين بل ان سلاسل الجبال مشتركة بين الفريقين ومهاد الاودية ممتدة بينهما ومجاري الانهر تخترق كليهما . فكأن الطبيعة تربطهما معاً بارباطة مشتركة بينهما . ومع ذلك فقد لعب كل من هذين الشعبين دوراً خطيراً في العالم يستلزم البحث في كل منهما على حدة . ولكن قبل كل شيء يجب ان نرى ماذا اورث شبه الجزيرة هذين الشعبين من المزايا المشتركة

يظهر ان الايبريين (Iberi) والسلتيبريين (Cletiberi) القدماء رحبوا بالتجار والمستعمرين الفينيقيين واليونان والقرطجنيين بعدهم على السواء . وبعد ذلك حدث انهم جعلوا يقاومون الاعتداء الروماني ولكن بلا فائدة . ولما جعل الغزاة التيوتون يتدفقون على البلاد ويطوقونها باساطيلهم وجدوا هناك شعباً مصبوغاً بالصبغة اللاتينية متمتعاً بتمدن رومه المسيحي . فالسويثيون Suevi استقروا في الزاوية الغربية بين خليج بسكاي والاوقيانوس . والڤندال استقروا في الشواطىء الجنوبية . والفيزي-قوت Visi-Goths احتلوا بقية البلاد حتى اجتازوا جبال البيرينيه الى اللوار في فرنسا

لغة الاسبان والبرتوغاليين وحياتهم واخلاقهم انما هي نتيجة تطورهم التاريخي . على انه لم يكن بين الفريقين تباين ظاهر الى ما بعد غزوات العرب . وقد بدئت هذه الغزوات سنة ٧١٠ واجتاحت كل شبه الجزيرة . ومع ان مقاومة النصارى كانت محفوفة بالفشل والقنوط فانها لم تفتر قط الى ان خرج العرب من تلك البلاد

١ — البرتوغاليون

يعزو الشعراء البرتوغاليون تكوُّن لغتهم وشعبهم الى قوم لوسيتاني Lusitani الذين كانوا يحتلون غربي شبه الجزيرة الى الشمال وهناك ثبتوا لدى هجمات الرومان الشديدة . ومن ثم اطلق على تلك البلاد اسم لوسيتاني وهو اسمها الشعري في اللاتينية

وقد ولدت بورتغال في حضن ميدان القتال في عصر الفروسية . فان الحروب التي شبت ضد العرب الفاتحين جذبت معظم فرسان النصرانية ومنهم هنري فارس بورجندي الذي لا يقل عن «السيد» شجاعة وشهامة . فكافأه الفونسو دي كاستيل على شجاعته باعطائه يد ابنته وجعله كونت بورتوس كال على نهر الدورو . وفي سنة ١١٣٩ قهر الفونسو ابن هنري العرب في اوريك وكسرهم شر كسرة . فسكر جنوده بخمرة النصر ونادوا به ملكاً على بورتوس كال التي هي الآن برتوغال

على ان هنري رفض التاج المقدم من يد الجنود وحدهم فعقد مجلساً عاماً لتقرير الأمر . وكان ذلك المجلس غريباً في بابه لذلك العهد لانه كان اول مجلس في تاريخ اوروبا اجتمع فيه نواب عامة الشعب وجلسوا فيه الى جنب الكهنة والنبلاء . وقد قر قراره على تعيين هنري ملكاً على البلاد

وما برح البرتوغاليون رجالاً حربيين فخورين . وتلك الروح التي بدت في ذلك المجلس الديمقراطي الاول لم تمت حتى حين كانت تتراءى كاسفة . فتلك الروح الحية هي التي جعلت البرتوغال في القرن الخامس عشر الدولة الاولى البحرية والتجارية والاستعمارية . وهي التي ارسلت دياز وداغاما ومجلان يخوضون البحار حتى ثبت لهم من جراء سفر الاوقيانوسات ان الارض كروية الشكل . وهذه الروح نفسها اوقدت جذوة النخوة في صدور البرتوغاليين لكي يقوموا بنصيبهم من الحرب في معارك اوربا ويشاطروا العالم التضحية والنصر

ومن مشاهير كتاب البرتوغاليين كامويس . فهذا الكاتب البليغ هذب اللغة البرتغالية حتى اصبحت اللغة الكتابية فيها تدعى اسلوب كامويس

٢ — الاسبان

ظلت الاندلس تحت حكم العرب نحو ٨٠٠ سنة . وما من شعب قاسى الخضوع للاجنبي طويلاً كما قاسى اهل هذه البلاد . والبرتوغاليون لكونهم بعيدين في الغرب قاسوا من هذا القبيل اقل من الاسبانيين . والاسبان حتى اليوم يخاطبون الواحد الآخر بقولهم كابالارو اي يا فارس . وذلك الجهاد العنيف افضى الى التعصب والصرامة في الدين وقد تجسم ذلك في نظام ديوان التفتيش

وفي سنة ١٤٩٢ اتحد فرديننند وايزبلا وقهرا العرب في غرناطة . ومن معسكر غرناطة تزود كولومبوس بمساعدة للملكة ايزابل وركب من الاتلانتيك لاكتشاف العالم الجديد . فللاسبانيين والبرتوغاليين حق الفخر العظيم بالاكتشافات الخطيرة الشأن التي حدثت في ذلك الجيل

ولا يخفى ان الغزوات العديدة انتابت شبه الجزيرة . فعلى هذه البلاد تعاقبت أمم مختلفة — فينيقيون وقرطجنيون ورومان وفنداليون وسويفيون وقوت ويهود ومغاربة وعرب . ومن كل ذلك نشأ شكل شرقي جميل الطلعة رضيّ الخلق

وللاستوريين Asturian حق الافتخار فان جبالهم الشامخة كانت العقبة الوحيدة التي عجز العرب عن ارتقائها . وكهف كوفادونغا الذي ابتدأ منه الهجوم على العرب لم يزل مقدساً . ومنذ سنة ١٣٨٨ كان لقب ولي عهد اسبانيا « اميراستوريا » وبعد التتويج يلقب الملك كونت كوفادونغا

وفي قوم جهات كتالونيا ترى غالباً العيون الزرقاء والشعور المرسلة والوجوه الوضاحة وملامح الاسلاف القوتيين . ولغتهم تختلف قليلاً عن اللغة الاسبانية . واذا طفت كاتالونيا وجدتها بلاد الصناعة المنظمة . وقوة التفنن الصناعية الغريزية في الكاتلانيين جعلت برشلونة بالرغم من العقبات الطبيعية مدينة عظيمة تشتمل على ٦٣٠ الف نسمة وهي عاصمة اسبانيا الصناعية والتجارية . وهم قوم ذوو روح ثورية تقاوم في الحال كل روح رجعية

وقوم الكاستيلان يشغلون البلاد الواقعة حول العاصمة ولغتهم الاسبانية الصرفة وهي لغة العلوم والآداب . وهم شعبٌ أنوف متأدب محب للفنون . الاميرال الكبير

سرفيرا كاستيلاني . كذلك سرفنتس ولوب ده ڤيجا وڤيلاسكه وموريلو وهم من كبار أدباء الاسبان والفنيين

وسكان الجزر الباليرية Balearic البالغون نحو ٣٢٠ الفاً كلهم اسبانيون . والعرب الذين احتلوا هذه الجزر نحو ٤٠٠ سنة تركوا فيها آثاراً ظاهرة في العادات واللغة . وقد اشترك الاسبان والبرتوغاليون في استعمار معظم العالم الجديد أي بلاد المكسيك واميركا الوسطى وجنوبي اميركا

والبرازيل التي تشغل نصف مساحة هذه البلاد المشار اليها برتوغالية . أما البلاد الباقية فاسبانية

فرنسا

للشعب الفرنساوي شخصية متميزة يفوق بها كل شعب أوربي . وبعض السبب في ذلك تاريخ تكوّن هذا الشعب وبعضه تفرد البلاد التي يقطنها في طبيعة موقعها . فالفرنساويون سلالة عنصر القلت الاصلي وقد تطرق اليهم العنصر اللاتيني الاغريقي ثم العنصر التيوتوني . وهذه العناصر الثلاثة لم تمتزج في شعب مثل امتزاجها في هذا الشعب فقد جمع بين محاسنها جميعاً

ان فرنسا بموقعها الطبيعي صلة بين اواسط اوربا وجنوبيها وبين البحر المتوسط والاتلانتيك . وهذا هو سر انها مركز الحركة التجارية والفكرية في العالم . وما من فكر عظيم شغل العالم الا كان مصدره من فرنسا او انه مرّ فيها

ليس كل الفرنساويين يتكلمون الفرنساوية . ففي اقاصي فرنسا اربع جماعات صغيرة ليست لغتهم الافرنسية وهم ٢٠٠ الف فلمنك Flemings قرب مضيق دوڤر و٢٠٠ الف باسك Basques في اقصى الجنوب الغربي و٢٥٠ الف كاتالان Catalans في جبال البرنيه الشرقية ومليون بريطاني في بريطانيا (الفرنساوية) . ولكنهم كلهم وطنيون مخلصون لفرنسا

أما البريطانيون فهم من عنصر القلتيين Celts وكان شبه جزيرهم يدعى اولاً آرموريكا . وقد كان تدفق البريطانيين من بريطانيا الكبرى فراراً من وجه

الانجلوسكسون مضاعفاً لعدد السكان بل زادهم على الضعفين ومن ذلك اشتق اسمه الحالي . ومساحة شبه الجزيرة أقل من ١٠ آلاف ميل مربع

وبعض الباحثين في علم السلالات البشرية ممن يبنون احكامهم على اشكال الجماجم شكوا فيما اذا كان البريطانيون الفرنسويون قلتيين . على أن هناك أدلة قوية على أن هؤلاء البريطانيون قلتيون ما لم تقم بينات اكيدة على الضد . وهم شعب ساذج محافظ متدين غير خوّاف مستقل خيالي

ويمتاز جنوبي فرنسا من الوجهة الاثنولوجيـة (أي من حيث العنصرية والسلالة) بانه لم تدخل اليه عناصر القلت واللاتين والتيوتون فقط بل تطرقت اليه عناصر المستعمرين الليغوريين والفينيقيين فضلاً عن المغاربة والعرب من اسبانيا . ولهذا تجد في لغته كثيراً من الكلام الاعجمي فضلاً عما فيه من قساوة اللفظ

ولما كانت في فرنسا لهجات مختلفة أمر فرنسيس الاول سنة ١٥١٩ بان تكون اللغة الباريسية التي اصبحت لذلك العهد لغة الجمهور هي لغة البلاد الرسمية . ولما كانت هذه اللغة مرنة ورقيقة تطـاوع كل تعبير جميـل لطيف اخذت مقـامها الشريف عاجلاً واصبحت اللغة الدولية الرسمية

يقال « ان اللغة الفرنساوية عملت الشعب الفرنساوي » والاصح ان كلاً منهما عمل الآخر وجاهدا في سبيل النجاح جنباً الى جنب

لقد برز الافرنسيس في العلم والآداب على جميع الامم. فلا تخطر لك علومهم وآدابهم الا وجدتها لا تضاهى . ويكفيهم فخراً أمثال باستور ولافوازيه وكوفيه وبيشاه وفولتير وروسو وروزه بونار وموليير وراسين وكورناي وفيكتور هوغو وبالزاك وآمبير

كتب مرة شاعر غير فرنساوي : « ان فرنسا جندي الله » أجل مضى على فرنسا نحو ١٤ قرناً وهي تعمل وتحارب وتنتصر لاجل العالم . ففي ارضها وبرجالها على الاكثر حوربت معركة شالون الفاصلة (سنة ٤٥١) التي كسرت شوكة الهونيين Huns ، ومعركة تورس (٧٣٢) التي هزمت العرب ، ومعركة ڤالمي (١٧٦٢) التي بدأت عهداً جديداً في تاريخ العالم ، ومعركتا المارن (١٩١٤ و ١٩١٨) اللتان سحقتا عدواً عنيداً لدوداً كان أشد خطراً من الشعوب البربرية

ان الانسانية ستظل مدينة لفرنسا الى نهاية العالم

البلجيكيون

يبتدىء تاريخ بلجيكا كمملكة منذ سنة ١٨٣٠ حينما ثارت الولايات البلجيكية الكاثوليكية وابت الاتحاد مع مملكة هولندا

اما بلجيا Belgœ القديمة فكانت تشتمل على كل بلاد الغال Gaul من شمالي نهر السين وغربي الرين . فان ريمس وصواصون واميان وبوفيه خلدت اسماء قبائل رامي Remi وصواصيون Suessiones واميباني Ambiani وبيلوقاسي Bellovaci ـ وهي القبائل الحربية التي كانت تقطن تلك البلاد والتي حاربت قيصر

اما البلجيكيون اليوم فعنصران : الوالون Walloons والفلمنك Flemings

اما الوالون (واللفظ تيوتوني معناه « الاجنبي ») فيقطنون جنوبي بلجيكا حيث توجد لياج ونامور على نهر الموز . وهم أيضاً في القسم الشمالي من فرنسا في مدن ليل ودواي وكامبراي وڤالانسيان وفي بعض قرى الرين . وهم يتكلمون الافرنسية ويتصلون شديد الاتصال بفرنسا

والفلمنك اكثر عدداً جداً من اولئك ويشغلون القسم الاكبر من المملكة وجانباً من شاطىء فرنسا الشمالي ودنكرك . وهم يتكلمون اللغة الفلمنكية وهي نوع من الالمانية . اصلهم جرمان . ومع ذلك فهم غيورون على وطنهم ويضارعون الوالون في الشجاعة والغيرة الوطنية . وفي الحرب الاخيرة لجأ الالمان الى كل وسيلة لكي يفصلوهم عن الوالون

في سنة ١٩١٠ كان عدد البلجيكيين ٧ ٥٧١ ٠٠٠ منهم ٣ ٢٢١ ٠٠٠ يتكلمون الفلمنكية و ٢ ٨٣٣ ٠٠٠ يتكلمون الفرنساوية و ٨٧١ ٠٠٠ يتكلمون اللغتين معاً . وفي أول الامر عارضت الحكومة البلجيكية في استعمال لغة الفلمنك كلغة رسمية ولكن في سنة ١٨٧٨ جعلت مساوية للفرنساوية في المحاكم والدواوين وفي سنة ١٨٨٣ في المدارس ايضاً

الحرية الدينية مطلقة تماماً والاكثرية كاثوليك ومنذ سنة ١٨٩١ لم يعد يسأل في الاحصاء عن العقيدة الدينية او عن الوظيفة

وقد كانت مساحة هذه المملكة في بدء الحرب العظمى الاخيرة ٣٧٣ ١١ ميلاً مربعاً . ومؤتمر الدول العظمى سنة ١٨٣١ هو الذي عين الحدود بين بلجيكا وهولندا . ومع ان الاحوال قضت اذ ذاك بالاعتراف باستقلال بلجيكا فان المؤتمر لم يعطف على البلجيكيين المطالبين بالاستقلال . ولهذا لم يكن خط الحدود من مصلحة البلجيكيين . فقد ضم الى هولندا شرقي اللوز اناس ميالون جداً الى بلجيكا . وكذلك كلتا ضفتي نهر الشلدات فصلتا عن بلجيكا حتى لم يعد الوصول بحراً الى انفرس (انتورب) الاَّ في المياه الهولاندية

منذ ١٦ سنة كتب هتشنسون في كتابه « سلائل اوربا الحية » : « ان الشجاعة والذكاء والنشاط حية في البلجيكيين الى الابد . فهم متفوقون في فن السلم كما كانوا محنكين في فن الحرب . وهم الان نموذج محسوس للرقي والمسالمة والرخاء » . ولا يزال المزيتان الاوليان (الرقي والمسالمة) تقويان في هذا الشعب . واما المزية الاخيرة فعلى اوروبا واميركا ان تردها لهُ

سلالات الجزر البريطانية

١ ـ الارلنديون

ان لفظة أيريش مشتقة من لفظة أرين Erin وهي الان كما كانت قديماً اللفظة الشعرية لايرلند Ireland

ولاصل الارلنديين اساطير خرافية كثيرة ولا يعرف عنهم شيء اكيد قبل القرن الخامس . فقد خرجوا إذ ذاك من تحت سيادة الميليزيين Milesians الذين لا يعلم احدٌ من أين أتوا وانما كانوا مستولين زمناً طويلاً على القسم الاكبر من جزيرة ايرلند

الارلنديون كالسكوتلانديين الغاليين Gaelic Scotch وسكان جزيرة مان متسلسلون من الفرع الغالي Gaelic او جوديليك Goidelic من العيلة القلتية . والعنصر القلتي هو العنصر الثابت في المزاج الارلندي كما انه العنصر السائد في التاريخ الارلندي . ومع ذلك فان الشعب الارلندي مزيج من عناصر مختلفة والشعوب

التي هي اكثر امتزاجاً منه قليلة العدد . فقد اندمج فيهم انكليز وسكوتلانديون وويلسيون ودنمركيون ونروجيون وفرنساويون . ثم ان الحروب المفنية والمهاجرة القهرية وتجند اكثر من ٤٠٠٠٠٠٠ في جيوش اوربا في خلال ٦٠ سنة ـ كل ذلك اختزل عدد السكان اختزالاً كبيراً . ودخول كثير من الاجانب المستعمرين الى البلاد زعزع توازن الحياة القومية فيها

وبالرغم من تشرُّب الارلنديين دماء جميع العناصر التي امتزجت بهم واندغمت فيهم واقتباس لغات الفاتحين بقوا عنصراً قلتياً محافظاً على جوهر عاداته واخلاقه

ان في طبيعة الارلنديين ما يجذب الاجنبي الذي يقيم في ظهرانيهم ويطبعه بطباعهم. ففي اثناء القرون الاربعة الاولى بعد فتح انكلترا لتلك الجزيرة كان الانكليز الذين نزحوا اليها من اعيان او عامة قد تخلقوا باخلاق الارلنديين واقتبسوا عاداتهم بل كانوا يصوغون اسماءهم الانكليزية صيغة ارلندية : فكثير من الاسماء الارلندية اذا حللتها وجدتها ذات اصل انكليزي

وكان الارلنديون دائماً متدينين وبقيت بلادهم ستة قرون تدعى جزيرة القديسين. ففيما كانت البلاد المصبوغة بالصبغة اللاتينية تتقهقر الى الوثنية والبربرية كان الايرلنديون يؤسسون المدارس ويبثون البعثات الدينية الى سكوتلاند وانجلند وويلس وسائر اوربا . والقديس بتريك الذي نشر النصرانية في ايرلند انشأ في ارماغ مدرسة كانت تشتمل على ٧٠٠٠ طالب . والقديس كولومبا انشأ في المدارس الرهبانية تعليماً مسيحياً كان يتلقاه جمهور من الفتيان الاجانب وينشرونه في البلاد الاخرى القليلة الحظ من التعليم فكان نوراً لهم منبعثاً من الغرب . والمسيحيون الايرلنديون شديدو التعلق بالكثلكة . ولو بقي الانكليز كاثوليكاً أو لو قبل الايرلنديون البروتستنتية لفترت حرارة الخلاف بين الشعبين ولو بعض الفتور . ثم ان استيطان الانكليز والسكوتلانديين في الزاوية الشمالية الشرقية من ايرلند (الصتر) زاد شقة الخلاف بين الفريقين توسعاً

في ارلندا ٣٢٤٣٠٠٠ كاثوليك وهم ٣ ارباع السكان . والبروتستانت الباقون يزيدون على المليون . أما مساحة ايرلندا فنحو ٣٢٥٨٦ ميلاً مربعاً

في سنة ١٨٠١ كان عدد السكان اكثر من الآن نحو مليون . وقد أحصي

عدد سكان ايرلندا احصاء دقيقاً جداً بعد صدور الامر باندماج ايرلندا بالمملكة البريطانية (وهو قانون الاتحاد) بغية تقرير عدد النواب في مجلس الامة بنسبة عدد السكان . ولما تقرر عدد النواب جعل رسمياً عدداً ثابتاً دائماً . ذلك لان الحكومة رامت أن يثق الايرلنديون ان عدد نوابهم في المجلس ليس أقل مما يحق لهم ولكن من الجهة الاخرى كانت تروم ألا يزداد عدد نوابهم بزيادة عددهم وهم اكثر خصباً واوفر مواليد من غيرهم . على ان الواقع الآن خالف الحسبان فان عدد الايرلنديين نقص بدل أن يزيد وأصبح لكل ٤٢ الف ايرلندي نائب في المجلس في حين أن لكل ٧٠ الف انكليزي نائباً . وسكوتلاندا التي يزيد عدد سكانها بضع مئات الالوف لها الان من النواب قدر ثلثي عدد النواب الايرلنديين

وللايرلنديين عصبية للدم لم يكن مثلها عند القلتيين القدماء . فانهم أشد الامم القلتية تعلقاً ببني جنسهم مهما تغربوا وبعدوا عن وطنهم

وهم كاسلافهم جسورون كرماء الاخلاق امناء عطوفون انيسون يحبون الشعر والغناء . وما من سلالة غير هذه السلالة القلتية اختارت آلة موسيقية شعاراً لها

٢ ـ الويلسيون

كان الويلسيون سابقاً يملكون الشواطىء الغربية في بريطانيا من فم نهر السفرن الى الشمال على مدى ٣٠٠ ميل . وهم الان يقيمون على الغالب في عمالة ويلس . ومع انهم اندمجوا مع شعب يفوقهم عدداً فلا يزالون ذوي شأن خاص بهم

وبالرغم من نهضة العلوم والاداب الويلسية في القرنين الثامن والتاسع عشر لا تزال اللغة الويلسية تفسح السبيل للغة الانكليزية . ففي سنة ١٩١١ كان ٤ اعشار المليونين الويلسيين فقط يتكلمون لغتهم القلتية . مع انه كان يتكلمها منذ ٣٠ سنة نحو ٧ اعشارهم

وقد عرف الويلسيون الغزوات الاجنبية واشكال المقاومة كما عرفوا وجوه النصر والخزلان من حين الى آخر منذ ايام الرومان الى سنة ١٢٧٧ حين خضع زعيمهم لولين لادوارد الاول . ومن ثم جعل ولي العهد يلقب ببرنس اوف ويلس . وحفيد اوين تيودور الويلسي صار ملك انكلترا باسم هنري السابع واسس الدولة التيودورية

وعلى اثر ذلك اندمجت ويلس بانكلترا واصبح شعبها متمتعاً بجميع الحقوق الانكليزية والويلسيون ورثوا جميع المزايا السامية التي كانت لاسلافهم القدماء . فهم ديموقراطيون جدّيون في اعمالهم ثابتون الى حد العناد حريصون على التعليم والتربية ، متدينون جداً ، ولا يتساهلون في الدفاع عن حقوقهم . وقد انجبوا للعالم من الرجال العظماء توماس جفرسون في الولايات المتحدة الاميركية ولويد جورج وزير انكلترا

٣ ـ السكوتلانديون

لا يعرف شيء عن أصل البكتس Piets سكان سكوتلاند الاصليين الذين كانوا ألد خصوم الرومان الا من قبيل التخمين . ولما وصل السكوتلانديون ، وهم شعب ارلندي قلتي ، الى البلاد وجدوا البكتس فيها . وكان ذلك القطر يسمى حينئذٍ هيبرنيا فلما احتله السكوتس Scots أي السكوتلانديون اطلق عليه اسمهم . ونقل اسم هيبرنيا الى سكوتيا Scotia التي كانت تسمى ايرلاند من القرن الثالث الى العاشر . وهكذا تبادل الاسمان تبادلاً غريباً في بابه

واتحد السكوتس والبكتس في الاغارة على البريطانيين . فاستغاث هؤلاء بالنورثمن Northmen واستنجدوا بهم فاندفعت زمرٌ من النورثمن (نورمان) الى انكلترا واستوطنتها . ومن ثم نشأ قطران باسم انجلند (انجلترا) الواحد ينطبق على انجلترا الحالية الى نهر الهمبر . والآخر يقع شمالي الهمبر ويمتد الى ما وراء نهر التويد . وكانت المملكة الشمالة موالية دائماً لملوك البكتس

وقد تنصر السكان قديماً منذ عهد البكتس عن يد الرهبان المرسلين الايرلنديين الذين لم يعترفوا بسلطة رومة . وهكذا توطد فيهم استقلالهم الديني . ومع ان بعضهم فيما بعد دخلوا في الكنيسة الكاثوليكية فما تغيرت هذه الروح الاستقلالية فيهم لا في الكاثوليك منهم ولا في البروتستانت

السكوتلانديون الجبليون استغرقوا فيهم البكتس ولكنهم انضنكوا وضعفوا بسبب غزوات النورثمن الذين دفعوهم الى داخلية البلاد وحلوا جميع الشواطىء . وقطنوا ايضاً جزر شتلاند واوركنيس وهبريد

والفرق البين بين البلاد العالية والبلاد الواطئة في سكوتلاند جعل فرقاً ايضاً في

حيـاة الاهلين فان بين سكان القسمين اختلافاً في السلالة واللغة وهذا الاختلاف افضى الى التنافر بين الفريقين . ومع ان كليهما سكوتلاندي فخور بالاجداد وبالشعور الوطني فالجبليون يتغلب فيهم العنصر القلتي والواطئون يتغلب فيهم العنصر الانكليزي على أن تغلب اللغة الانكليزية ونجاحها فيهم مما يقرّب بينهم . فالذين يتكلمون اللغة الغالية الآن لا يبلغون جزءاً من عشرين منهم . والذين يتكلمونها وحدها ولا يتكلمون غيرها يبلغون جزءاً من عشرين من ذلك الجزء العشريني . وفي كل جزر شتلاند واوركي ١٢٠ شخصاً فقط يتكلمون الغالية . واما في جزر هبريد التي يتناقص عدد سكانها فاللغة الغالية لا تزال متغلبة

السكوتلانديون على العموم مقتصدون حذورون يقظون وما من شعب مثلهم عادل كريم يلبي الواجب حتى ولو قضى بالتضحية بالحياة او بالمال او بالمركز

وقد شغل السكوتلانديون المكانات السامية في ميدان الرقي . فنهم واترسكوت وكارليل وهيوم وجون لوكس وروبرت لويس ستفنسون واسكندر جراهم بل ووط وروبرت برنز وجلادستون وبلفور وبريس وهايج وبيتي

٤ ـ الانكليز

يقـال إن الالفاظ العربية المدمجة في معجم اللغة الانكليزية كالجبر والكيمـاء والقهوة والكُحُـل الخ كانت (على قلتها) أشد تأثيراً فيها من الالفاظ القلتية . ومع ذلك فان لفظتي بريطانيا وبريطاني اتتا من الاسم الذي سمى به القلتيون هذه الجزيرة . ثم ان اسماء الآكام والانهر في انكلترا والاسماء المنتهية بهذه المقاطع ford - ومعناه عابر او قاطع و tor - او don - ومعناه حقل و ham - ومعناه بيت او منزل كلها قلتية الاصل . وفي غير ذلك يندر وجود الفاظ قلتية في اللغة الانكليزية واندر من هذا وجود العنصر القلتي في الدم الانكليزي . وان لمن الغريب الداهش ان تخلو انجلند الآن من السلالة البريطانية الاصلية (القلتية) التي وقفت تجاه الرومان

وبحسب نص التاريخ السكسوني في سنة ٨٠٠ اصدر اجبرت ، اول ملك للبلاد بعد اتحادها الاول ، مرسوماً ملكياً امر فيه ان تسمى البلاد منذ ذلك الحين انجليا او انجلند . ثم مر على البلاد ٢٥٠ سنة توالت اليها الغزوات وظهر فيها من الاسماء المجيدة الفرد السكسوني وكانوت الداني

وما امتزج الشعب الانكليزي والشعب النورماني الفاتح واتحدا في شعب واحد حتى بعد حرب المئة سنة وثمت حلت اللغة الانكليزية محل اللغة النورمانية الفرنساوية في المحاكم والقوانين

بعد ذلك تدفقت جماهير المهاجرين (كالفارين من هولاندا والهوجونوط من فرنسا) فزادوا قوة انجلند الصناعية ولكنهم لم يفسدوا النسل ولا كيفوا اخلاقه .

وقد شاع التعبير على الانكليز بلفظ الانجلوسكسون وهو تعبير خطأ ومضلل . أجل ان كل الانجلوسكسون انكليز ولا يعكس أي انه ليس كل انجليزي انجلوسكسونيًّا .

والعمل الاساسي الذي عمله عنصر السكسون هو احتلال بريطانيا العظمى وافعامها سكاناً فهو الذي جهزها بكتلة أساسية من شعب شديد خزوم صبور أضيفت اليها عناصر مختلفة فيما بعد

فالاعمال التي لا تُضارع في البر والبحر وإنشاء الامبراطورية العظمى التي تعد الامبراطورية الرومانية صغيرة الى جنبها ، وابتداع « اللائحة العظمى » Magna Charta وتطوُّرها ، وانشاء حكومة دستورية — كل ذلك لم يكن ثمرة قبيلة أو سلالة واحدة بل كان ثمرة عدة عناصر ممتزجة وقد تجسمت فيها هذه الروح العظيمة . وقد وجد فرنساوي مجيد المفتاح لاخلاق الانكليزي في كلمة واحدة وهي « الاعتماد على النفس »

ويتكلم اللغة الانكليزية نحو ٢٠٠ مليون شخص وهؤلاء المتكلمون بها هم اكثر الشعوب عملاً واغناهم ثروة وما من لغة حتى في الصين والهند لها نصف هذا العدد من المتكلمين

فهرس الكتاب

صفحة

٣ المقدمة

٥ تمهيد

اوربا واسمها . سر تقدم الشعوب الاوربية . اجناس اوربا

١١ سلالات البلاد الروسية

الروسيون الكبار . الاوكرانيون أو الروسيون الصغار . الروسيون البيض . القوزاق

١٥ سلالات الايالات البلطيكية

الاستونيون . اللاتيون . اللتوانيون

١٨ الفينو اجريان

الفنيون أو الفنلنديون . قوم اللاب

٢٠ شعوب القوقاس

الارمن . التتر الاتراك

٢٣ الرومانيون

٢٥ سلالات شبه جزيرة البلقان

الاتراك العثمانيون . الالبانيون . الاغريق . البلغاريون . السربيون . الجبليون

٣٥ يوغوسلافيا

البوسنيون . الهلفاتيون . الكروانيون . الدلماتيون . السلوفينيون أو الوند . السلافونيون

صفحة

٣٨ تشيكوسلوفاكيا

التشيك . المورافيون

٤٢ الروثينيون

٤٣ المجريون

٤٤ البولانديون

٤٧ اليهود

٤٨ النور أو الغجر

٤٩ الجرمان ـ الالمان

السكسونيون . البافاريون . البروسيون . القبائل السلافية في جرمانيا

٥٤ السكندينافيون

٥٥ الدتش أو الهولنديون

٥٦ السويسيون

٥٧ الطليان

٥٩ المالطيون

٦٠ سلالات شبه جزيرة ايبريا

البرتوغاليون . الاسبانيون

٦٣ فرنسا

٦٥ البلجيكيون

٦٦ سلالات الجزر البريطانية

الارلنديون . الويلسيون . السكوتلانديون الانكليز

obeikandl.com